بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة

بحث لنيل درجة الماجستير

بعنوان

الخصائص الفنيّة في شعر الصّدّيق عمر الأزهريّ

إعداد الطّالب :

الفاتح حسن محمد مصطفى

إشراف :

د. حسن أحمد الفادني

أغسطس ٢٠٠٧

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

"وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجاتٍ من نشاء إنّ ربّك حكيمٌ عليمٌ "[1]

صدق الله العظيم

---

١. سورة الانعام – آية (٨٣)

إهـداء

إلى من أُمرت أن أخفض لهما جناح الذلّ من الرّحمة كما ربياني صغيراً،أمّي وأبي،إلى الأستاذ داود الأزهريّ إعترافاً وتقديراً فقد وهبني من علمه ووقته ما تعجز الكلمات عن حمله، إلى مجتمع رفاعة النّقيّ، إلى من خاضوا مع الشّيخ الصّدّيق الملاحم لإزالة المنكرات وإلى شباب اليوم الذين لم يعاصروا الأزهريّ ولكن سمعوا به فأحبّوه.

إلى هؤلاء وأولئك أهدي بحثي.

الفاتح

شكراًجميلاً

لقد كان مخاض هذا البحث مخاضاً عسيراً، حتى خشيت عليه الإجهاض، أو أن يأتي مسخاً مشوّهاً! لولا قومٌ أعزاءٌ كرامٌ سعدت بصحبتهم،وآنسني قربهم حتى جعل الله من بعد عسرٍ يسراً،وهم كثر لا تتسع المساحة لذكرهم،وتقصّر المفردات عن إيفائهم ما يستحقون من شكرٍ وثناء ،يأتي في مقدمتهم العالم الدكتور حسن أحمد الفادنيّ المشرف على هذه الرسالة والذى أعانني بفكره، وجهده،وقد كان يردّني للصواب ردّاً جميلاً،ثم تحيتي للأستاذ المفضال داود الصّدّيق الأزهريّ إبن الشّاعر موضوع الرسالة،هذا الذي أتاح لي شرفالإطّلاع على دواوين الشّاعر، ما طبع منها وما هو تحت الطّبع.التحية لأخي وصديقي محمد عبد الحكم هذا المبدع الفنان الذي قام بتنسيق وطباعة هذا البحث.تحيتي وتقديري للأخوة بجمعية القرآن الكريم برفاعة ولأسرة مكتبة رفاعة العامّة ،تحية خاصة لأسرة كلية الشريعة والقانون جامعة القرآن الكريم فرع رفاعة وللقائمين على أمر المكتبة بالجامعة،تحيتي لزملائي بإدارة الثّقافة والإعلام برفاعة، ثم شكري وتقديري لأصدقائي وأصفيائي الذين سهروا معي الليالي ،فما غمض لهم جفنٌ، وما هدأ لهم بالٌ حتى رأى هذا البحث النّور .بل بالغ شكري لكل من أسهم في هذا البحث برأيه،أو جهده، أو تحريضه .وإنّى وإن عجزت عن شكرهم جميعاً فإنّي أحيلهم للذي لا يضيع عنده معروفٌ ،أسأله مسألة مفتقرٍ لجوابه،طامعاً في ثوابه أن يثقّل موازين حسناتهم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباحث

المقدّمة

دوافع إختيار الموضوع

الشّاعر الصّدّيق عمر الأزهريّ – عطّر الله ثراه – أحد رموز مدينة رفاعة ، وعلمائها الأفذاذ ، أسهم بقدرٍ وافرٍ في تقويم المجتمع برأيّه وفكره ، فهو خطيب مسجد رفاعة العتيق فكانت كلماته تنفذ إلى القلوب قبل الآذان. وهو شاعرٌ مجيدٌ له خطراته الصّوفيّة ، وسبحاته الوجدانيّة ، ورؤاه التي تنمّ عن شفافية الحسّ،وصفاء العاطفة،وشعره متعدّد الإتّجاهات فمنه الذاتيّ ، والإجتماعيّ ، والوطنيّ ، والدّينيّ، والشّيخ الصّدّيق إنطلق من الإيمان بعقيدة الإسلام فهي حجر الزّاويّة في التّكوين الإنسانيّ ، ومن ثمّ أصبحت هذه القضيّة منبع روافده الشعريّة أو مصبّها ، فهو إمّا أن يبدأ منها أو ينتهي عندها ، إنّه يتحرك في قلب هذه الدائرة.

وشاعرٌ هذا دأبه كان لا بد لنا أن نلقي الضوء على شعره لنبرز أهمّ الخصائص الفنّيّة فيه خاصّة وأنّه لم يتناول هذا الموضوع أحدٌ من قبل فطفقت أجمع إنتاجه الشعريّ من دواوينه الشعريّة ، ما طبع منها وما هو تحت الطّبع ، ومن صدورالرّجال فتحصّلت على قدرٍ وافرٍ منه أحسب أنّه كافياً لأن يعطينا الصّورة الحقيقيّة لشعر هذا العالم الجليل وإبراز قيمته الموضوعيّة والفنّيّة حتى يؤتي ثمرته في حقل الدّراسات الأدبيّة.

أهميّة الموضوع بالنّسبة للطّالب والتّخصص :

إمتاز شعر الصّدّيق الأزهريّ بالعديد من الخصائص الفنيّة،وهو صاحب تجربة شعريّة نابعة من حقائق عاشها،ومشاعر أحسّ بها ممّا يجعل

تقديمها للقارئ إضافة ثرّة في مجال الأدب ،كما يمكننا إضافة إسم الصّدّيق عمر الأزهريّ كواحدٍ من حملة لواء الأدب الإسلاميّ في العصر الحديث.

أهداف البحث:

الصّدّيق عمر الأزهريّ أحد الشّعراء الذينٍ ضُربت حولهم الأسوار فلم تسلّط عليهم الأضواء ،ولم يعرف الصّدّيق الأزهريّ الشّاعر إلاّ فئةٌ قليلةٌ من النّاس !وقد إمتاز شعره بالعديد من الخصائص منها إشاراته للآيات القرآنية والأحاديث النبويّة ،وربّما أشكلت هذه الإشارات على المتأمّل لأشعاره فى فهم البيت أو توضيح الفكرة المراد منها، لذلك رأى الباحث ضرورة التّعريف بالشّاعر كواحدٍ ممّن أسهموا في إثراء السّاحة الفنّيّة والأدبيّة بالسّودان والعالم الإسلاميّ،ثمّ الرّجوع لهذه الآيات والأحاديث بقدر المستطاع وإثباتها بهذا البحث حتى تتجلّى المعاني التي أرادها الشاعر .وذلك لإيمانى غير المحدود أنّ فى ذلك إضافة ثرّة لتراثنا الإسلامي والأدب السّودانيّ والعربيّ .

الدّراسات السّابقة:

لم يجد الباحث من تطرّق لهذا الموضوع من قبل بل وجد كتاباً عن الفكاهة في الشّعر السّودانيّ للكاتب عبد الحميد محمّد أحمد وقد أثبت فيه بعض قصائد الشّاعر الصّدّيق الأزهريّ الاّ أنّ هذه الزّاوية نحسبها أضيق من أن تبرز لنا الصّدّيق الأزهريّ كشاعر له تجربته الخاصّة،وموهبته الخاصة،لذلك رأى الباحث تقديم هذه الدّراسة بصورة متكاملة حتى تعّم الفائدة .

تساؤلات البحث:

من هو الصّدّيق عمر الأزهريّ ؟ماهي القضايا التي تناولها؟ وكيف كانت عاطفته تجاه القضايا التي أثارها؟ وأىّ القضايا ركّزعليها الشّاعر؟ ماهو أثر الخيال والموسيقى فى تجليّة المعاني التي أرادها؟

هذه بعض التّساؤلات التى إنطلق منها الباحث للتنقيب فى شعر الصّدّيق الأزهريّ وقد حاول الإجابة عليها من خلال فصول البحث المختلفة .

منهج البحث:

إستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليليّ،ومن خلاله قام باستخدام منهج تحليل المضمون باعتباره جزءاً من المنهج الوصفي التحليلىّ ،حيث قام بتحليل قصائد الشّاعر الصّدّيق الأزهريّ ،وقد عمد الباحث على إيراد التّحليل بصورة تخدم أهداف البحث .

هيكل البحث:

إشتمل البحث على آية والإهداء،والشكر ،والتّمهيد الذى تناول الباحث من خلاله التّعريف بالشّاعر ،كما إشتمل البحث على خمسة فصول تناول الفصل الأول مفهوم الخصائص الفنيّة عند النّقّاد من خلال مبحثين تناول المبحث الأول الشّعر وماهيّته والمبحث الثانى مفهوم الخصائص الفنيّة عند النّقّاد.

كما تناول الفصل الثاني أهم الاغراض التي طرقها الشّاعر من خلال خمسة مباحث هي المبحث الأول المدح ،المبحث الثاني الإخوانيات المبحث الثالث

الرّثاء ، المبحث الرابع الغزل ، و المبحث الخامس الهجاء أما الفصل الثالث فقد تناول أهم القضايا التى ركّز عليها الشّاعر من خلال مبحثين تناول المبحث الأول القضايا الفقهيّة،كما تناول المبحث الثاني القضايا الإجتماعيّة .أما الفصل الرّابع فقد تناول التّجارب والعواطف فى شعره حيث تناول المبحث الأول التّجارب الخاصّة بينما تناول المبحث الثاني التّجارب العامّة .

أمّا الفصل الخامس والأخير فقد تناول الخيال والموسيقى وأثرهما فى تجليّة المعاني حيث تناول المبحث الأول الخيال وأثره فى تكوين الصّور الفنيّة.

كما تناول المبحث الثاني الموسيقى وأثرها فى تكوين الصّور الفنيّة ثمّ أودع ملّخص ماخرج به فى خاتمة البحث ،ثم أثبت قائمة بأهمّ المراجع والمصادر التى إستقى منها المعلومات ،وأخيراً هنالك فهرست بمحتويات البحث .

التّمهيـد

الشّيخ الصّدّيق عمر الأزهريّ أحد الشّعراء الذين جاهدوا بالكلمة، وعمدوا إلى علاج المشكلات الإجتماعيّة بشيءٍ من الحكمة والطّرفة، وقد ظلّت أشعاره تحمل المتعة والفكرة ،وتؤثّر في النّفس ،والعقل ،والقلب ، تخاطب الصّغير، والكبير ،.ولا يجهل أحدٌ أهميّة الكلمة في الحياة فهي وسيلةٌ مهمّةٌ تؤثّر في الفكر والشعور، معاً، وتساهم في الجوانب المختلفة من جوانب البناء الثقافي للإنسان .

وقبل أن ندلف إلى شعر الشّيخ الصّدّيق . عطّر الله ثراه . حريٌّ بنا أن نتعرّف عليه هو أولاً.

فهو الصّدّيق عمر الأزهريّ، خطيب مسجد رفاعة العتيق من مطلع الثلاثينات وحتى أوائل السّبعينات ،ولد الصّدّيق الأزهريّ بمدينة أم درمان في غرّة رمضان ١٣٠٧ هجريّة الموافق ١٨٨٩ميلاديّة وتوفي برفاعة في مايو٤ ٨ ١٩ ميلاديّة عن عمرٍ ناهز التّسعين[١].ينتمي نسبه إلى قبيلة الصّواردة ،وهم من ولد السّيد عقيل بن أبي طالب وإلى ذلك يشير بقوله

ولهم نسبٌ نحو العقيل بن طالبٍ

إلى هاشمٍ جدّ النّبيّ إلى النّضر (٢)

جدّه لأبيه هو عمر بن عبد الله بن سعيد واشتهر بلقب الأزهريّ ، وهو لقبٌ جعله لنفسه أو جعله له غيره وذلك نسبةً لتلقيه العلم بالأزهر الشّريف،وهو من الجو ير من بلاد الجعليين بإقليم شندي، وبعد أن تلقى علوم الكتابة والحساب لحق(بالأزارقة) فدرس عليهم القرآن واللّغة العربيّة والفقه،ثمّ إتّجه إلى الأزهر

---

[١] الأزهريّات ـ الصّدّيق عمر الأزهريّ ـ تحت الطّبع ـ ص٣

[٢] المرجع السّابق ـ ص ٤

الشّريف بمصر فنال من العلم قسطاً وافراً ثمّ عاد في أواخر العهد التركيّ حيث عمل في تدريس العلم والفقه وقواعد النّحو والبيان،ثمّ عمل بالقضاء في العهد التُّركيّ وفي المهديّة وفي عهد الحكم الثنائيّ. ([1])

أما جدّه لأمّه فهو الفكي الأمين الضّرير شيخ علماء السودان في العهد التركيّ وحتى أواخر المهديّة ،وقد إنتقل إلى رفاعة تحت إلحاح الشّيخ عوض الكريم أبوسن ليعلّم النّاس أمور دينهم، كما كانت إبنته خديجة الأمين الضرير (والدة الشّاعر) إمرأة صالحة وعالمة حفظت القرآن ،وتعلّمت الفقه وعلّمته نساء عصرها([2])

بدأ الشّيخ الصّدّيق تعليمه الأوليّ برفاعة وأكمله بأم درمان، ثمّ إرتحل إلي قرية ود حامد حيث حفظ القرآن علي شيخه التّجاني بشير ، ثم هاجر إلى طلب العلم بالأزهر الشّريف، وبعد عودته من مصر تمّ ترشيحه للعمل في القضاء ولكنّه فضّل أن يعمل في المسجد برفاعة فتفرّغ لحلقات الدّرس والإرشاد وإمامة المسجد حتى أقعده الكبر حوالي عام١٩٧٣([3])

---

[1] مقابلة مع الأستاذ داود الصّدّيق الأزهريّ (إبن الشّاعر) ـ بمنزله ببحري

[2] المصدر السّابق

[3] مقابلة مع الأستاذ حسن محمّد مصطفى ـ تلميذ الشّاعر وخليفته على المنبر ـ بمنزله برفاعة

له العديد من الإسهامات الشعريّة مثل العقود بين النّهود الذي سجّل فيه رحلة السّيد الحفيد (ابن عمر) زعيم التّجانيّة بالمغرب عند زيارته للسّودان عام ١٩٥٠م ،كذلك من مؤلفاته ديوان الأزهريّات وهو ديوان تحت الطبع وأكثر موضوعاته في مدح النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم،بالإضافة لبعض المواضيع الدّينيّة ، والإجتماعيّة الأخرى، كما يحتوي الدّيوان على العديد من الإخوانيّات.ويمازج الشّاعر في أسلوبه بهذا الدّيوان ما بين العربيّة الفصحى والعاميّة، وقد يعمد أحياناً إلى الفكاهة الشئ الذي جعل لشعره مذاقاً خاصّاً ولوناً خاصّاً.

الفصل الأول

مفهوم الخصائص الفنيّة

عند النّقّاد

الفصل الأول

مفهوم الخصائص الفنيّة عند النّقّاد

المبحث الأول

الشّعر وماهيّته

المطلب الأول:

تعريف الشعر:-

إختلف النّقّاد في تعريف الشّعر، فأوجدوا له تعريفاتٍ عدّة، يقول صاحب لسان العرب عن الشّعر:(هو منظوم القول ، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية وإن كان كلّ علمٍ شعراً من حيث غلب الفقه على علم الشّرع، والشّعر القريض المحدود بعلاماتٍ لا يجاوزها ، والجمع أشعار ، وقائله شاعرٌ لأنّه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم)[١] ثم عرّفه قدامة بن جعفر بقوله: (إنّه قولٌ موزونٌ مقفى يدلّ على معنى)[٢]كما عرّفه شوقي ضيف بأنّه صناعة حيث يقول:(كلمة شاعر عند اليونان القدماء معناها صانع ،ولذلك كانوا يضيفون الشّعر إلى الصّناعات والفنون الجميلة من نحتٍ وتصويرٍ ورقصٍ وموسيقى .)[٣]

من هنا نجد أنّ النّقاد قد اتّفقوا على أنّ الشّعر هو الكلام الموزون إذ أنّ بعضهم لايعتبر القافية شرطاً في الشّعر ، بل يصبّون جلّ إهتمامهم على الموسيقى ، وقد برزت عدة مدارس شعرية لها روّادها وكلٌّ منهم يعرّف الشعر

---

[١] لسان العرب ـ أبو الفضل جمال الّدين محمّد بن مكرم ـ م ٤ ـ دار صابر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٠ ـ ص٤٠٩

[٢] نقد الشّعر ـ أبوالفرج قدامة بن جعفر ـ مكتبة الخافجيّ ـ ط٢ ـ١٩٦٢ـ ص١٥

[٣] الفن ومذاهبه – شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – ط٦ – ص١٣

وفق إحتياجات المدرسة المعنيّة . لقد غلبت على الشّعر العربيّ القديم وحدة القافية والتزامها في جميع الأبيات ، كما غلبت عليه وحدة الوزن العروضيّ ، والقافية ليست شرطاً أساسيّاً في لغة الشّعر حيث أنّ الشّعراء المحدثين أخذوا يجمعون في القصيدة الواحدة قوافي متعددةً وأوزاناً مختلفةً، والوزن وحده ليس بالشّرط الوحيد الذى يجعل من الكلام شعراً، بل يجب أن يستوفي الكلام شروطاً أخرى من حيث الجمال والخيال وصحّة المعنى وغيره ، ولاشكّ أنّ الوزن من أهمّ أركان الشّعر ، ولكنّ لابد للشعر من إستيفاء أركان أخرى تتمثّل في أن تكون المعاني مما ولّده الخيال، وأن يكون اللّفظ معبّراً بحيث يلائم طبيعة الشعر الخياليّة والموسيقيّة، وأن تكون الألفاظ ذات جرسٍ وانسجامٍ خاصٍّ. يقول إبن رشيق القيروانى:(الشّعر يقوم بعد النيّة من أربعة أشياء وهى : اللّفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حدّ الشّعر لأنّ من الكلام ما هو موزونٌ ومقفىً وليس بشعرٍ لعدم القصد والنيّة كأشياء إتّزنت من القرآن ومن كلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغير ذلك ممّا لم يطلق عليه أنّه شعر)[1] .

[1] / العمدة ـ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني – ط١ـ ١٩٣٤ – مطبعة حجازي – القاهرة – الجزء الأول – ص ٩٩

المطلب الثاني:

الاغراض الشعرية:-

إذا وقفنا فيما مضى على مفهوم الشعر وماهيّته فلابدّ لنا هنا من وقفةٍ أخرى مع الأغراض الشعريّة وهى كثيرةٌ، ومتعددةٌ بتعدّد المواقف التى يمرّ بها الشّاعر، وإذا إنحصرت أغراض الشّعر قديماً في معانٍ تقليديّة فى الفخر، والحماسة، والهجاء، والرّثاء، والمدح، والنّسيب ،وما إلى ذلك من المعاني، فإنّ الشّعر الحديث قد طرق مجالاتٍ أخرى، وأخذ يعبّر عن طموحات وهموم الإنسانيّة من تقدّمٍ، وتطوّرٍ،وكلّ ذلك تحكمه أشياء معينة ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالشّاعر كالبيئة التي يعيش فيها، وثقافته، فكلّ ذلك يتحكّم في التّجربة الشعريّة التي يعيشها الشّاعر. فالتّجربة الشعريّة العميقة تصدر عن ذلك التّوحيد الحي بين ماتعانيه النّفس في الدّاخل، وما تبصره فى الخارج. ولاشك أنّ وراء الإبداع الشعريّ موهبةٌ مبدعةٌ تجمع أشتات المظاهر في الوجود وتوغل إلى أبعاد التّجارب في النّفس، إلا أنّ الموهبة ذاتها تبدو قاصرة إذا لم تخصبها الثّقافة، ولئن لم يكن كلّ مثقّفٍ أديباً فقلّما تجد أديباً غير مثقف. وليس المقصود بالثّقافة تلك المجموعة من المعلومات التي تحفظها الذّاكرة، أو يختزنها الذّهن، وإنّما تلك التي تتّحد في شخصية الأديب، وتتصهر وتذوب فيها وتغدو جزءاً منها كما يغدو الطعام جزءاً من الجسد وتنعكس في أنماط السّلوك والتّفكير.

المطلب الثالث:

مراحل تطور الشعر:-

إنّ الشّعر كغيره من الأشياء مرّ بعدة مراحل تطوّر من خلالها، وقد قام النّقّاد بتقسيم المراحل التي مرّ بها الشّعر إلى عصور أدبيّة، كلّ عصرٍ له سماته، ومميزاته، معتمدين في ذلك على التّغيرات الدّينيّة، والسّياسيّة، والتّاريخيّة، وقد أورد د.هاشم صالح في كتابه من روائع الأدب العربيّ التّقسيم التّالي:

١/ العصر الجاهليّ: ما قبل الإسلام

٢/ عصر صدر الإسلام: يبدأ بظهور الإسلام وينتهي سنة ٤٠هـ/٦٦٠م

٣/ العصر الأمويّ: يبدأ سنة ٤٠هـ/٦٦٠م وينتهي سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م

٤/ العصر العبّاسيّ: ويبدأ سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م وينتهي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م

٥/ العصر المملوكيّ والعثمانيّ:ويبدأ سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م وينتهي سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م

٦/ العصر الحديث: ويبدأ سنة ١٢١٣هـ/١٧٨٩م وحتى يومنا هذا.([1])

ونجد أنّ القصيدة فى العصر الجاهليّ تتألّف من وحداتٍ موسيقيةٍّ تسمّى الأبيات ،ويلتزم الشّاعر فى جميع هذه الأبيات بحراً واحداً كما يلتزم حرفاً واحداً يتّحد فى نهاية الأبيات يسمى الرويّ، وعادةً ما يفتتح الجاهليّون قصائدهم بالنّسيب، والبكاء على الأطلال، وذكر الصّيد، ثمّ من بعد ذلك يتناولون الغرض الشعريّ من مدحٍ، أو هجاءٍ، أو فخرٍ، أو غيره من الأغراض التي تناولوها من خلال شعرهم. يقول د. محمد عبد المنعم خفاجي : (نرى أشهر القصائد الجاهليّة قد بدأت بالنّسيب العذب الجميل ثم يتّصل فيها

[1] من روائع الأدب العربيّ ـ د.هاشم صالح منّاع ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٠ه ـ ١٩٩٠ ـ ص٢٠

النّسيب بذكر الناقة ووصفها، وجوب الفلوات عليها، وقد يقوم الشّاعر بوصف ما يشاهده في الصّحراء من أسراب الوحوش والظّباء، ثم يتخلّص إلى غرضه المقصود من مدحٍ، أو هجاءٍ ،أو فخرٍ، أو عتابٍ، أوإعتذارٍ، أو حكمةٍ.)([1])وقد كان الشاعر هو لسان القبيلة الذي يتحدّث بلسانها، ويتغنّى بمجدها وقد ظلّت القصيدة العربيّة على هذا الحال الذي عرفت به في العصر الجاهليّ حتى في صدر الإسلام، إلا أنّ هنالك بعض المعاني الجديدة التي ظهرت مع ظهور الإسلام تناولها الشّعراء ما كانت معروفة في العصر الجاهليّ، وهى معاني الإسلام ،والإيمان، والدّعوة إلى الجهاد والإستشهاد، وما إلى ذلك من المعاني التي أتى بها الإسلام.

أمّا في عصر بني أميّة فقد حدث تطوّرٌ واسعٌ بفضل الإسلام ومعانيه الروحيّة، وبتأثير الفتوحات واختلاط العرب بأهل البلاد المفتوحة في خارج جزيرتهم وداخلها، وكان لإختلاطهم بأهل الأمصار المفتوحة أكبر الأثر بتزودهم بأنواعٍ جديدةٍ من المعرفة ما كانوا يعرفونها في السّابق مثل فنّ الغناء. يقول إيليا الحاوي:(وقد تكون تجربة الشعر الأمويّ تجربة مخضرمة في معظمها وإن كان الغناء قد إقتضى بعض الرومانسيّة والمقطوعات الخفيفة والقصيرة، وقد ظلّت القافية متوحدة متشابهة في متن القصيدة وإن كانت بعض الأوزان قد جزّئت واستعمل منها الأدنى إلى النّفس عن الأوزان الثّقيلة الباهظة، ولايكاد العصر الأمويّ ينتهي حتى تكون الثقافات الأجنبيّة قد فعلت فعلها في التّجربة الشّعريّة.)([2])

---

[1] الشّعر الجاهليّ ـ د. محمّد عبد المنعم خفاجي ـ دار الكتاب اللّبنانيّ ـ بيروت ـ ص٣٢٨

[2] في النّقد والأدب ـ إيليا الحاوي ـ ج٣ ـ دار الكتاب اللّبنانيّ ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٦ ـ ص٢٥

وبعد سقوط دولة بني أميّة بدأ العصر العباسيّ ولم يكن الشّعر من العصر الأمويّ إلى العصر العباسيّ طفرة لأنّ ذلك يخالف طبيعة الأشياء في التّدرج والنّمو، إذاً فالأدب في أوّل هذا العصر يشبه إلى حدٍّ كبيرٍ الأدب في أواخر العصر الأمويّ، غير أنّه أخذ في التّطوّر حيث أخذ الشّعراء يتفنّنون في صناعة الشّعر وابتكار المعاني واستعمال البديع، وقد توافد الشّعراء على بغداد طمعاً في المغنم من مدح الخلفاء والأمراء الذين كانوا يجزلون لهم العطاء، وقد تنوّعت أغراض الشّعر فشملت كلّ الأغراض في العصور السّابقة؛ فقال الشّعراء في المدح، وفى الهجاء، والغزل، والرّثاء، والوصف، وقد توسّعوا في هذه الأغراض وأمدّوها بمعانٍ جديدةٍ، وصورٍ حديثةٍ، متأثّرين بأساليب الحضارة الجديدة، والثّقافات المختلفة، ثمّ إستحدثوا أغراضاً لم يقل فيها السّابقون .

يقول إيليا الحاوي (ومهما يكن فإنّ الشّعر حطّ رحاله في ساح العصر العباسيّ، وقد تهرّم وتثاقل ،وإستقرّت معانيه وموضوعاته ،فعمد الشّاعر العباسيّ إلى التّجديد بإضافة أسلوبين متقاربين متباعدين :أسلوب البديع وأسلوب التّعقيد والتّوليد في المعاني)([1]).

وبانقضاء العصر العباسيّ أخذ الأدب في الإضمحلال والخمول خاصّة إبّان فترة حكم العثمانيين. يقول محمود مصطفى (يعتبر هذا العصر عصر الإنحطاط الأدبيّ حيث ضعفت الملكات في عبارة الكتب المؤلّفة واستباح أصحابها العاميّة لا يترفّعون عنها ولا يأنفون)([2]).

---

[1] المرجع السّابق ـ ص ٣٧

[2] الأدب العربيّ وتاريخه ـ محمود مصطفى ـ مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ- مصر-١٩٣٧-ط٢- ج٣ ـ ص٣٠٣

ولم ينصلح حال الأدب إلا في العصر الحديث حيث إزدهر الشّعر إزدهاراً كبيراً بفضل تطوّر سبل المعرفة، وظهور الطّباعة، والتّرجمة، وإنفتاح الدّول العربيّة على الغرب ،والأخذ من ثقافاته، ثمّ وجود المستعمر الذي نقل معه حضارته إلى البلاد العربيّة فتلاقحت الثّقافات الشئ الذي أدّى إلى إزدهار الأدب ،وإبتكار المعاني الجديدة في الشّعر. بل أخذ الشّعراء يغيّرون في بناء القصيدة مما نتج عنه ظهور المدارس الشعريّة المختلفة.

ثم ظهر أخيراً جداً الشعر الحديث بصورته الرّاهنة وهو ما يزال في مرحلة توالد كلّ يومٍ يظهر بشكلٍ جديدٍ الأمر الذي يصعب معه تحديد إطارٍ عامٍّ له، أو مميزات خاصّة به حيث تختلف سماته ومميزاته، فهناك سمات ترتبط بالشاعر، وأخرى بالشعر، فمن الظواهر الجديدة تبلور شخصية الشاعر الحديث الذي ما عاد يقنع بالأغراض القديمة للشعر من مدحٍ، وذمٍّ، وهجاء، وغزل، وغيرها بل أخذ يلعب دوراً طليعياً في قيادة الشعوب، وتوجيه الرّأي العام من خلال الكلمة المؤثرة.

المبحث الثّاني

الخصائص الفنيّة في الشّعر العربيّ

يعتبر النّقّاد أنّ الموسيقى،والأسلوب، والخيال،والعاطفة هي من أهمّ الخصائص الفنيّة في الشّعر العربيّ لذلك سنحاول دراستها بشيءٍ من التّفصيل قبل أن نتناولها من خلال شعر الصّدّيق الأزهريّ.

المطلب الأوّل:

الموسيقى:-

عنصر الموسيقى من أهمّ المقاييس في ميدان الشّعر، وهو مقياس يضعه النّقّاد بقصد الموازنات للتّعرّف على مدى قدرة الشّاعر على الملائمة بين عواطفه وموضوعه، حيث أنّ هناك من يضرب على وتيرةٍ واحدةٍ، ويلبس جميع الموضوعات لبوساً واحداً، وهناك من يلوّن ويعدّد هذه الأنغام الموسيقيّة.

كان الشّاعر العربيّ القديم يقع بفطرته ووجدانه وطبعه المواتي على الموسيقى التي تنفعل بها نفسه، ويجيش بها خاطره تلقائياً دون تفكيرٍ في نمطٍ معيّنٍ. وقد عرّف النّقّاد القدامى الشّعر على أنّه الكلام الموزون المقفى، فحدّدوا بذلك عناصر أساسيّة في كيان الشعر منها (الوزن) وهو قالبٌ موسيقيّ راقصٌ، وبذلك يدرك المرء الفارق الجوهريّ بين الأسلوب الشعريّ والأساليب النثريّة المتعددة، فالأسلوب الأوّل يعتمد على الوزن بينما الأساليب الثانيّة تسلك طرائق أخرى ليس من بينها الوزن، وظاهرة الوزن هذه عبارة عن وحدات صوتيّة خاصّة يرمز إليها في علم العروض (بالمتحرك والسّاكن) وتقوم على

أساسها التفعيلة ،وقد رصد الخليل بن أحمد جميع ألوان موسيقى الشّعر العربيّ فوجد أنّها لاتخرج عن ثماني تفعيلات تتكون منها بحور الشعر والتي حدّدها الخليل بخمسة عشر بحراً ثم زاد عليها تلميذه الأخفش بحراً آخر لتصبح ستة عشر بحراً.([1])

إنّ العنصر الثّاني الذي أتى به الخليل في عمليّة تكوين الإيقاع الشعريّ هو القافية وهي حسب مذهب الخليل عبارة عن الساكنين اللّذين في آخر البيت مع ما بينهما من المتحرك حرفاً كان أو أكثر ومع المتحرك الّذي قبل الساكن الأوّل.([2]) وقد ظلّت القافية بهذا النّسق المألوف تشكل أداةً من أدوات تحديد وحدة القصيدة في جزئيّة معيّنة عرفت بالبيت المكوّن من شطرين، وذلك لأنّها تفصل بين كلّ بيتٍ وما يليه. وكان النّقّاد القدامى يشترطون أن يكون البيت مستقلّاً في الفكرة التي يمثّلها فلا يصح أن يكون له إرتباطٌ بما قبله ولا ما بعده، وأمّا إذا إتّكأ أو تعلّق معنى البيت الأوّل بالبيت الذي بعده فذلك عيب من عيوب القافية وهو ما يعرف عند النّقّاد بالتّضمين. وللقافية خمسة عيوب هي الإيطاء والإكفاء والإقواء والسناد والتّضمين[3].

لقد حافظ العرب على وحدة الإيقاع والوزن أشدّ محافظة فالتزموها في أبيات القصيدة كلّها. وظلّ للوزن والقافية سلطانهما في الشّعر العربيّ لدى الكثرة الغالبة من الشّعراء حتى العصر الحديث، وفي هذا العصر لا يزال بعض الشّعراء يلتزم بهما، ولكن يجدر بنا أن نقول أنّ الثورة على الوزن والقافية بدأت منذ القديم فقد ملّ الشّعراء النّظم على وتيرةٍ واحدةٍ في القصائد ، وتاقوا للتنويع والتّجديد وكان أهم تجديد في ذلك هو الموشّحات، ويبدو أنّها قد

---

[1] اللّغة العربيّة ـ د. نديم حسن دعكور ـ مؤسّسة بحسون للنشر والتّوزيع ـ لبنان ـ بيروت ـ ص١٨١

[2] / نهاية الرّاغب في شرح عروض إبن الحاجب ـ جمال الدّين عبد الرحيم الأسنويّ الشافعيّ ـ دار الجيل بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٩ ـ ص٣٤١

[3] / المرجع السّابق – ص٣٦٤

نشأت في أواخر القرن الثالث الهجريّ على إختلاف في تاريخ نشأتها وفي الأعلام الذين بدأوا بها مع اتفاقٍ تامٍّ بين المؤرّخين على أنّ هذا الفن أوّل ما بدأ بدأ بالأندلس فهم لهم فضل الرّيادة في هذا المجال. يقول الدكتور مصطفى عوض الكريم (أجمع مؤرّخو الأدب الاندلسيّون على أنّ الموشّحات من مخترعات بلادهم وأنّ المشارقة أخذوها عنهم وتتلمذوا فيها عليهم...ويقول عن نشأتها :إنّ بداية الموشحات غامضة ولا ندري على وجه التّحديد من هو البادئ بعملها ولا في أي سنة بدأها .....إلى أن يقول: إنّه عندما إقتضت الظروف إختراع الموشّحات في أواخر القرن الثالث الهجريّ (التّاسع الميلاديّ)قام بعض الأفراد أشهرهم صاحب العقد بهذا العمل.)[1]

لقد تطوّر نظام القصيدة في العصر الحديث تطوراً جذريّاً فقد ثارت جماعات من الشّعراء على كثيرٍ من مقومات الشّعر القديم ، ومنها القافية ولعلّ مردّ ذلك الإحتكاك بالثقافات الغربيّة من جهة ، وشعور الفرد بحريّته وكينونته من جهة أخرى حيث غدت الحياة الجديدة التي يعيشها تلاحقه بكثيرٍ من التّجارب والمشكلات التي تتطلّب حلولاً وتفكيراً ولذلك أحسّ الشّعراء بالحاجة إلى لونٍ من الشّعر فيه الوزن وفيه الإيقاع ،وفيه أبعاده الفكريّة والنفسيّة والعضويّة متوافرة ليؤدّي حاجات النّفس وأغراضها. وهذه العوامل مجتمعة أدّت إلى تطوّر الشّعر كثيراً خلال القرن العشرين، وظهرت له أشكاله وأغراضه الجديدة التي تلبّي إحتياجات العصر فظهر الشّعر الرّمزيّ، والشّعر الحر، وغيرهما من الأشكال المستحدثة، وإذا كان شعراء الموشّحات قد هدفوا من خلال إبتكارهم لهذا الفن للتخلّص من نير القافية ليفتحوا المجال واسعاً للتعبير عمّا يجيش بداخلهم فإنّ ذات الأمر هو ما دعا له الرّمزيّون في الأدب العربيّ.

---

[1]/ فنّ التّوشيح – د. مصطفى عوض الكريم – دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٦٠ – ص٩٣ و ٩٧ .

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال (فقد أراد هؤلاء الرّمزيّون أن يجدّدوا في أوزانهم وأن يتخلّصوا من سلطان القافية)[1] . ولكنّنا نجد أنّ الرمزيّين لم يحرّموا إستعمال الأوزان القديمة بل تركوا المجال واسعاً لمن أراد أن يستخدم تلك الأوزان والقوافي

أمّا الشّعر المنثور أو الحر فهو الذي لا يلتزم بوزنٍ اصطلاحيٍّ أو قافية بيد أنّ له إيقاعاً خاصّاً ووزناً خاصّاً لا يخلو منهما نثرٌ أدبيٌّ رفيعٌ.

المطلب الثاني :

الأسلوب :-

الأسلوب هو الطّريقة الخاصّة التي يصوغ بها المرء أفكاره ، ويبيّن بها ما يعتمل في دواخله،ويجول في خاطره من العواطف والإنفعالات . وقد تختلف الأساليب باختلاف المواقف والأغراض ، بل ربّما كان للغرض الواحد العديد من الأساليب المختلفة .

ويتكوّن الأسلوب عادةً من مفردات وهي التي تدلّ عليه ، ولذلك كان لابدّ لهذه المفردات أن تكون منتقاة بعناية حتى يكون لها الأثر المطلوب ، وقد أجمل النّقّاد بعض الخصائص التي يجب أن تتوفر في الأسلوب الجيّد الرّصين منها الدّقة وهي أن يختار الشّاعر من الكلمات أدقّها في أداء المعنى الذي يجول في النّفس، وقد تتقارب الكلمات في المعنى، ولكن بعضها قد يكون أدق من بعض ومن ذلك ما روي عن المتلمّس العنسيّ أنّه أنشد يوماً قصيدة يقول فيها:

وقد أتناسى الهمّ عند إحتضاره

[1]/ النقد الأدبي الحديث – محمد غنيمي هلال – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة - الفجّالة – ص٤٦٥ .

بناجٍ عليه الصّيعريّة مكدم

والصّيعريّة سمة للنوق لا للفحول فجعلها لفحل!وسمعه طرفة بن العبد وهو صبيّ فقال: أستنوق الجمل!فضحك النّاس، وصارت مثلاً.[١]

كذلك من سمات الأسلوب الجيّد أن يكون اللّفظ سلساً، سهلاً، ولا ينبغي للشّاعر أن يأتي بالألفاظ الغريبة الوحشيّة بل يجب أن يكون اللّفظ مألوفاً مقبولاً لأنّ غاية الأدب التّأثير السّريع في النّفس، فإذا كانت الألفاظ غريبة وصعبة تحتاج إلى جهدٍ جهيدٍ إلى فهمها أو تحتاج من المرء أن يبحث معانيها في خدور المراجع وأمّهات الكتب فإنّ الأدب في هذه الحالة لم يكن قد أدّى غرضه حيث أنّه لم يصل قلب المتلقي مباشرة الأمر الذي يفسد حلاوة الأسلوب لأنّه يكون بذلك قد إستعصى على الأفهام. قيل أنّ أحد الأدباء قد اطّلع على ديوان صفيّ الدّين الحلي فقال لاعيب فيه إلا أنّه خالٍ من الألفاظ الغريبة! فأرسل إليه صفيّ الدّين بهذه الأبيات :

إنّما الحَيْزَبُون والدَرْدَبِيس

والطَّخَا والنَّقَاخُ والعَطْلَبِيسُ[٢]

والغَطَارْيس والشَّقَحْطَبُ والسَّقَبُ

والحَرْبَصِيصُ والعَيْطَمُوسُ[٣]

والجَرَاجِيحُ والعَفَنْقَسُ والعَفْلَقُ

والطِّرْفِسَانُ والعَسَّطُوسُ[٤]

لغةٌ تنفر المسامع منها حين

---

[١]/ الشّعر والشّعراء – عبد الله بن مسلم بن قتيبة – عالم الكتب – لبنان – ط٣ – ١٩٨٤ – ص١٨٣

[٢] / الودبيس:الداهية والشيخ العجوز. الطّخا (بالحاء): المنبسط من الأرض، وبالخاء والمد: السّحاب المرتفع. الذّ قاخ: البارد العذب. العطلبيس : الأملس البرّاق.

[٣]/ الغطاريس: جمع غطريس وهو الظّالم المتكبّر . الشّقحطب: الكبش له قرنان أو أربعة كلٌ منها كأنّه شق حطب. السّقب: ولد النّاقة أو ساعة يولد، أو خاص بالذّكر. الحربصيص: الحلي. العيطموس: التّامّة الخلق من الإبل والنّساء.

[٤]/ العفنقس: العسر الأخلاق. العفلق: المرأة الحمقاء. الطّرفسان: القطعة من الرّمل. العسّطوس: شجرة كالخيزران.

تروى وتشمئذّ النّفـوس

وقبيحٌ أن يسلك النّافر الوحشيّ

منها ويترك المأنـوس[١]

هذا ما كان من أمر الكلمة المفردة، أمّا الجملة فقد إهتمّ النّقّاد بمقياس النّحو، وهو من أهمّ المقاييس عند طائفة نقّاد العرب ، وكثيراً ما تقع بعض الخلافات بين الشّعراء والنّقّاد، لأنّ الشّعراء كانوا لا يقبلون التّصويب في كثيرٍ من الأحيان، ومن ذلك ما يروى أنّ الفرزدق أنشد قصيدةً منها:

وعضّ زمانٍ يابن مروان لم يدع

من المال إلا مسحتاً أو مجلف

فسأل بعض النّقّاد الفرزدق على أيّ شيءٍ رفع (مجلفاً) فغضب الفرزدق وشتمهم وقال عليٍّ أن أقول وعليكم أن تحتجّوا![٢]

وكذلك لابدّ للجملة أن تكون واضحة ظاهرة الدّلالة على المعنى المراد، وأن يكون الأسلوب قويّاً، وتنبع قوّة الأسلوب في إستخدام الخيال وإستخدام الكلمات الطّريفة التي لم تمتهن بكثرة الإستعمال، كذلك فإنّ إستخدام المحسّنات البديعيّة يعطي الجملة رونقاً لما في هذه المحسّنات من موسيقى من غير إكثارٍ منها. يقول محمود مصطفى:(أمّا أسلوب الشّعر فقد رقّ برقّة ألفاظه ، وحسن بالإكثار من التّشبيه والإستعارة، والعناية بالمحسّن البديعيّ).[٣] ولكن يجب أن يأتي إستخدام هذا اللّون دون تكلّفٍ حتى لا يصبح الشّعر مصنوعاً أو متكلّفاً. يقول عبد القاهر الجرجانيّ :(فإنّك لا تجد

---

[١]/ الأدب العربيّ وتاريخه- مرجع سابق- ج٢- ص٣٩٨

[٢]/ الشّعر والشّعراء- مرجع سابق- ص١٢

[٣]/ الأدب العربيّ وتاريخه – مرجع سابق –ص٢٧١

تجنّساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه وإستدعاه ، وساق فحوه حتى تجده لا تبتغي به بدلاً).[1]

كذلك من سمات الأسلوب الجيّد التلاؤم بين اللّفظ والمعنى، فالمعنى الكريم يجب أن يوافقه الأسلوب الكريم، كما أنّ للمدح ألفاظاً، وللذمّ أخرى، وللرثاء ثالثة وهكذا إنّ كلّ ضربٍ أو كلّ غرضٍ من أغراض الشّعر له من الألفاظ ما يناسبه. وقد جمع الجاحظ في كتابه البيان والتبيين كلّ ما فصّلناه في هذا الباب عن الأسلوب في عباراتٍ قليلةٍ معبّرةٍ حيث يقول:(وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان اللّه عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه، وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفاً، واللّفظ بليغاً، وكان صحيح الطّبع بعيداً من الإستكراه ، ومنزّهاً عن الإختلال، ومصوناً عن التّكلّف، صنع في القلب صنيع الغيث في التّربة الكريمة).[2]

المطلب الثّالث :

الخيال:.

يقول شوقي ضيف(الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلّفوا صورهم، وهم لا يؤلّفونها من الهواء إنّما يؤلّفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها تختزنها عقولهم وتظلّ كامنة في مخيّلتهم حتى يحين الوقت فيؤلّفوا منها الصّورة التي يريدونها،صورةً تصبح لهم لأنّها من عملهم وخلقهم.)[3] ويقول عمر الدّسوقيّ عن الخيال :(هو وضع الأشياء في علاقاتٍ جديدةٍ، وهو سمةٌ بارزةٌ من سمات الأسلوب الأدبيّ لأنّه يصوّر

---

[1]/ أسرار البلاغة في علم البيان – عبد القاهر الجرجانيّ- دار الفكر العربيّ – بيروت – ص١١

[2]/ البيان والتّبيين – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – دار صعب – بيروت – ج١ – ص٥٩

[3]/ في النّقد الأدبيّ – د.شوقي ضيف – دار المعارف – ط٧ – ص١٦٧

العاطفة أو ينقلها للسّامع أو القارئ ويبرز المعاني ويضفي عليها ثوباً زاهياً تخطر فيه فنتقبّلها ونفهمها . ويلجأ إليه الأديب للإيضاح وحسن العرض وقوّة الإبانة والتّصوير ، ويرى القارئ والسّامع الحقائق من ثنايا كل ذلك عن طريق خياله.)[1]

وقد عرف العرب كثيراً من ألوان الخيال ،عرفوا الخيال الذي يبتكر الشّخصيّات التي لا وجود لها، وينسب إليها ما شاء من الأقوال والأفعال، وعرفوا الخيال الذي ينطق الحيوان وأجروا على ألسنتها ما ينبغي أن يجري على ألسنة العقلاء من النّاس، ويجعلها تتصرّف كما يتصرّف العقلاء. ونجد أنّ كثيراً من أبواب البلاغة يشتمل على الخيال؛فالمجاز المرسل، والتّشبيه،والكناية، والإستعارة كلّها أبواب تقوم على الخيال، فإذا تأمّلنا قوّة التّشبيه في قوله تعالى: (والّذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد اللّه عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب.)[2] إذا تأمّلنا ذلك نجده أكثر وقعاً في النّفس، وأشدّ تأثّيراً عليها وذلك لما فيه من قوّة التّشبيه التي تجعلنا نوقن بعدم جدوى أعمال الكافرين إذ يصوّرها القرآن بشيءٍ نراه بأعيننا ونكاد نؤمن بوجوده إيماناً لا يتسرّب إليه الشّك، إذ نرى السّراب في الصّحراء فنظنّه ماءً يروى ظمآن كما يرى الكفرة أعمالهم فيظنّونها مجديةً نافعةً، ولكنّنا لا نلبث أن نقترب من موضع السّراب فلا نجده شيئاً! إنّ هذه الصّورة التي أتى بها القرآن تزيدنا إقتناعاً بالفكرة التي يريد القرآن أن نقتنع بها .

---

[1] / في الأدب الحديث – عمر السوقيّ – ج٢ –دار الفكر العربيّ – ط٦ – ١٩٦٤ – ص٣١١

[2] / سورة النّور –الآية ٣٩

وبمثل ماوجد الخيال في القرآن لتقريب الصّورة للأذهان كذلك نجد الحديث النبويّ يشتمل على العديد من التّشبيهات التي تدعو لإعمال الخيال فيها حتى تكون أقرب للواقع ومن ذلك ما رواه أبو موسى رضي اللّه عنه عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه قال :(إنّ مثل ما بعثني اللّه عزّ وجلّ به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً فكانت منها طائفةٌ طيّبةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع اللّه بها النّاس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفةٌ منها أخرى إنّما هي قيعان لاتمسك ماءاً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين اللّه ونفعه بما بعثني اللّه به فعَلِمَ وعَلَّمَ ،ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى اللّه الذي أرسلت به).[1] ففي هذا الحديث الشّريف ساق رسولنا الكريم عليه أفضل الصّلوات وأزكى التّسليم تشبيهاً بين ثلاثة أنواع من البشر يشبههم بثلاثة أنواعٍ للأرض،فالنّوع الأوّل من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتاً وينبت الكلأ فينتفع به النّاس والدّواب وغيرها، وهذه الأرض تمثّل لنا النّوع الأوّل من النّاس الذين يبلغهم الهدى والعلم فيحفظونه ويعملون به ويعلّمونه غيرهم فتحيا قلوبهم فيكونون بذلك قد إنتفعوا به ونفعوا به غيرهم.

أمّا النّوع الثّاني من الأرض فهي أجادب وهي الأرض التي لاتنبت الكلأ أي لا تنفع نفسها بيد أنّها أمسكت الماء فانتفع بها النّاس والدّواب وكذلك النّوع الثّاني من النّاس لهم قلوبٌ حافظةٌ لكن ليست لهم أفهامٌ ثاقبةٌ، ولا رسوخٌ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام وليس عندهم إجتهاد في الطّاعة والعمل به فهم يحفظونه حتى يأتي طالبٌ محتاجٌ متعطشٌ لما عندهم من العلم أهلٌ للنفع والإنتفاع فيأخذ منهم فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم. والنّوع

---

[1]/ صحيح مسلم – الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجّاج - ج٤ –كتاب الفضائل – ص١٧٨٧

الثّالث من الأرض وهي القيعان التي لا تمسك الماء ولاتنبت كلأ فهي إذاً لا تنتفع بالماء ولاتمسكه فينتفع به غيرها وكذلك هو حال النّوع الثّالث من النّاس ليست لهم قلوبٌ حافظةٌ ولا أفهامٌ واعيةٌ فإذا سمعوا العلم لا ينتفعوا به ولا يحفظونه لنفع غيرهم .فهذا التّشبيه يسهم إسهاماً كبيراً في تجليّة المعنى ويجعله أكثر لصوقاً بالأفهام وكذا حال الخيال في معظم صوره الفنيّة.

وكذلك نجد في الأدب العربيّ مجالاً رحباً للخيال، وكلّما أوغلت الصّورة في الخيال إزدادت روعةً وبهاء. فإذا نظرنا إلى قول أبي فراس الحمدانيّ وهو يعاتب سيف الدّولة فيقول:

قد كنت عدّتي التي أسطو بها

ويدي إذا إشتدّ الزّمان وساعدي

فرميت منك بغير ماأمّلتـه

والمرء يشرق بالزّلال البـارد[1]

إذا أمعنّا النّظر في هذين البيتين نجد أنّ أبا فراس يشبّه سيف الدّولة صراحةً بأنّه عدّته الحربيّة من سيفٍ ودرعٍ وغيره، ثمّ يتّجه في البيت الثاني للتّشبية الضمنيّ فيؤكّد له أنّه قد وجد منه شيئاً في نفسه أحزنه منه لبعض ما يلاقيه منه، يقول ذلك رغم أنّ أبا فراس يعتبر سيف الدّولة عدته وعتاده وزاده في الحياة لكنّه يجد مبرراً جميلاً لجفوة سيف الدّولة، ويستدلّ على ذلك بأنّ المرء ربّما يشرق بالماء البارد بدلاً من أن ينتفع به! وهذا هو شأن التّشبيه الضمنيّ.

وكذلك نجد في الإستعارة مجالاً رحباً للخيال الذي يؤثّر في النّفس ويمتع الوجدان ومن ذلك ما أنشده إبن عطاء الله السّكندريّ حيث يقول:

غرست لأهل الحبّ غصناً من الهوى

---

[1] / يتيمة الدهر – أبو منصور عبد الملك الثعلبيّ – ج١ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ط١ – ١٤٠٣ه – ص٥٩

ولم يك يدري ما الهوى أحدٌ قبلي

فأورق أغصاناً وأتبع صبوةً

وأعقب لي مرّاً من الثمر الحلي

فجميع العاشقين هواهم

إذا نسبوه كان من ذلك الأصل[١]

فلننظر كيف جعل إبن عطاء الله السّكندريّ رحمه اللّه من حبّه للمولى عزّ وجلّ غرساً يزرع ثم يورق! فهي دعوةٌ منه لنتخيّل الحبّ هذا الشئ الوجدانيّ نتخيّله زرعاً محسوساً ينمو أمام أعيننا، فهو وبإستخدامه للإستعارة قد إستطاع أن يجسّد المعنى المراد الشئ الّذي يجعله أقرب للأذهان.

والكناية كذلك بابٌ واسعٌ من أبواب الخيال له مكانته عند العرب في الإيضاح والتّأثير ومن ذلك ما رواه إبن عبد ربّه فى كتابه العقد الفريد أنّ رجلاً من نميرٍ مرّ برجلٍ من بني تميم على يده (باز) فقال التميميّ للنميريّ: هذا البازي ؟ قال له النّميريّ : نعم وهو يصيد القطا! أراد التميميّ قول جرير:

أنا البازيّ المطلّ على نميرٍ

أتحت له من الجوّ إنصبابا

وأراد النميريّ قول الطّرماح:

تميمٌ بطرق اللّؤم أهدى من القطا

ولو سلكت سبل المكارم ضلّت[٢]

---

[١]/ أحلى ٢٠ قصيدة في الحبّ الإلهي – فاروق شوشة – مكتبة مدبولي – القاهرة – ط١ – ١٩٨٣ – ص٢٧

[٢]/ العقد الفريد – أحمد بن محمّد بن عبد ربّه –ج٢ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ص٣٠٠

والخيال صوره عديدةٌ ،وهو يعطي الجملة رونقاً وبهاء،كما أنّه يجسّد المعنويّات في صورٍ محسوسة، وكلّما كانت العبارة موغلة في الخيال كانت أكثر لصوقاً بالنّفس وأبلغ في التّعبير. يقول عبد القاهر الجرجانيّ (قد أجمع الجميع على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح، والتّعريض أوقع من التّصريح وأنّ للاستعارة مزيّةً وفضلاً وأنّ المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة).[١]

إنّ الخيال بابٌ واسعٌ، وإنّ ما حاول الباحث إثباته هنا لا يتعدّى دراسة الخيال في الجملة العربيّة وكلّها ترمي لتوضيح الفكرة الجزئية وإلقاء الضوء عليها.

المطلب الرّابع

العاطفة:-

إذا كان هذا الكون العظيم الذي بسط روائعه اللّه جلّت قدرته قد أغنى عوالم الشعراء بعناصر الجمال فإنّ شئون الحياة التي كتب على المرء أن يواجهها ويخوض غمراتها قد عملت إلى أبعد مدى بتغذية روح الشّاعر وقريحته بفيض ذاخرٍ من معطيات الإبداع ، وطالما كان على الشاعر أن يقف صاغراً أمام جبروت القدر، أو عاجزاً أمام حتميّة الموت.ولكن وجد هذا الشّاعر نفسه وهو فى خضم الحياة المتلاطم متذرّعاً بالصّبر ،أو متجمّلاً بالحلم، أو منتشياً، بالظفر أو منغمراً في الحزن، أو ممتلئاً بالحقد، أو مفعماً بالإعجاب . إنّها جملةٌ من المشاعر تستبدّ في نفس الشاعر ، وتتحول إلى مواقف ثم تتخلّق عباراتٍ مبتدعة داخل قريحته فتتجسّد شعراً ذا قوة. يقول إبن قتيبة :(وللشعر دواعٍ تحثّ البطيء ،وتبعث المتكلّف ،منها الشّراب، ومنها الطّرب، ومنها الطّمع، ومنها الغضب، ومنها الشوق).[٢] ولعلّ صدق

---

[١]/ دلائل الإعجاز- عبد القاهر الجرجانيّ – ط٣ – دار المنار – مصر – ١٣٦٦ه – ص٥٥

[٢]/ الشّعر والشّعراء – عبد الله بن مسلم بن قتيبة – عالم الكتب – لبنان – ط٤ – ١٩٨٤ – ص٨

العاطفة قد يكون أكبر عند بعض الشّعراء في موقفٍ بينما يتفوق بعضهم الآخر فى مواقف أخرى! قال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخزيميّ :(مدائحك فى منصور بن زياد أشعر من مراثيك فيه وأجود. قال: كنّا إذ ذاك نقول على الرّجاء ونحن اليوم نقول على الوفاء وبينهما بونٌ بعيدٌ).[١] لقد وقف العرب على طبيعة هذه الإنفعالات وعرفوا ألوانها وبحثوا في دواخلها، وأدركوا بعضها قد يكون أقوى من بعض. عرف العرب إذاً حقيقة العاطفة، وعرفوا من هذه العاطفة ألواناً أنتجت شعرهم الفنيّ، وأدركوا العاطفة القويّة المؤثّرة التي تنتظم كلّ القصيدة لذلك نجدهم يقولون :

(أشعر النّاس من أنت فى شعره حتى تفرغ منه).[٢] لقد أدرك العرب العاطفة ومعناها أدركوا أنّ فقدان هذه العاطفة في الشّعر يترتب عليه أن يصير الشعر جافّاً لأنّه في تلك الحالة يخاطب العقل وحده من غير أن يثير الشعور ويبعث الوجدان .

أمّا تنوّع العاطفة فإنّها عند النّقّاد مقياسٌ للموازنة حيث أنّهم يفضّلون الشّاعر المتعدد العواطف على ذلك الذي يلتزم عاطفة واحدة يصوغ شعره فيها . يقول ابن قتيبة:(الشّعراء بالطّبع مختلفون فمنهم من يسهل عليه المديح ويتعذّر عليه الهِجاء ، ومنهم من تسهل عليه المراثي ويتعذر عليه الغزل).[٣] وكذلك تحدّث النّقّاد العرب عن إختلاف النّسيج في القصيدة فتُرفع بعض الأبيات إلى الذروة بينما ينحطُّ بعضها إلى الحضيض! وإنّ إختلاف النّسيج ينشأ في كثيرٍ من الأحيان عن إختلاف قوّة العاطفة في أجزاء القصيدة، ففي أوقات القوّة تخرج القصيدة رائعة حيّة، وفى وقت الضّعف تخرج فاترة متهافتة، وقد يعوّض

---

[١]/ المرجع السّابق – ص٩
[٢]/ المرجع السّابق – ص٩
[٣]/ الشّعر والشّعراء – مرجع سابق – ص١٤

الشّاعر هذا التهافت بصناعة لفظيّة تغري مستمعها ولكنّها لا تثبت عند البحث، ولا تدلّ على كبير معنى إذا فتشت! ومن ذلك ما رواه إبن قتيبة في حديثه عن أنواع الشّعر: (وضربٌ منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا).[1]

إنّ أغراض الشّعر العربيّ التي إنضوت تحتها أشعار العرب مجتمعة إنّما قامت في أصلها على عنصر العاطفة دون سواها لذلك لابد للعاطفة أن تكون صادقة حتى يأتي الشّعر جيّداً مفعماً بالحيويّة والنّضار.

بهذا السّرد يكون الباحث قد تناول خلال هذا المبحث أهمّ الخصائص الفنيّة في الشّعر العربيّ، وسيقوم بإذن اللّه باستعراض هذه الخصائص من خلال شعر الشيّخ الصّدّيق الأزهريّ في الفصول القادمة حيث يتناول الباحث في الفصل القادم أهمّ الموضوعات التي طرقها الشاعر.

[1]/ المرجع السّابق – ص٣

الفصل الثّاني

أهمّ الأغراض التي

طرقها الشّاعر

الفصل الثاني

أهمّ الأغراض التي طرقها الشّاعر

المبحث الأوّل

المدح

يعتبر المدح من أقدم الأغراض التي تناولها الشّعراء منذ العصر الجاهليّ وحتى يومنا هذا ،وقد إزدهر المدح كثيراً إبّان العصرين الأمويّ والعبّاسيّ ،وأخذ الشّعراء يتكسّبون بمدح الأمراء والوزراء في هذين العصرين .

أمّا في العصر الحديث فقد أصبحت للشاعر رسالةٌ يؤدّيها نحو المجتمع ، وماعاد ذلك الشّاعر الذي يتكسّب بشعره بل أصبح يسهم برأيّه وفكره في علاج مشكلات المجتمع المختلفة، والصّدّيق الأزهريّ كان من هؤلاء الذين أسهموا بقدرٍ وافرٍ في بناء المجتمع من خلال الشعر ، ومع ذلك ظلّ المدح غرضاً أصيلاً .من أغراض الشّعر في العصر الحديث مع إختلاف النّظرة الماديّة لشعر المديح .

فالمدح عند الشّاعر الصدّيق عمر الأزهريّ له لونٌ خاصٌ ، ومذاقٌ خاصٌ .فهو لا يمدح من أجل التّكسّب وإنّما جاء شعر المديح عنده صادقاً مبرءاً من الغرض والهوى، دافعه محبةٌ صادقةٌ للذين يمدحهم ، فهو قد مدح المصطفى (صلّى الله عليه وسلّم) ، و مدح من بعده الخلفاء الرّاشدين ، ورجال

الطّرق الصّوفيّة ، وتأتي معظم قصائده مفعمة بالعاطفة الصّادقة ، تكشف من وراء سطورها عن علمٍ غزيرٍ للشاعر ، وثقافة عالية، ومعرفة كبيرة بالسّيرة ، وفهمٍ عميقٍ لمعاني القرآن العظيم ، ويتضح ذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول :

مدح المصطفى (صلى الله عليه وسلَّم) :-

تضمّنت جلّ قصائد المدح عند الشّاعر بعض معاني القصص التي وردت في كتاب الله .فهو يمدح المصطفى صلّى الله عليه وسلّم فيقول:

قدّمت بين يديّ حبّ المصطفىّ

وعقدت حبّك يامهيمن تاجا

ضيفٌ ألمَّ بسوحكم محتاجاً

ياخير من أُوحِي إليه وناجي

أشكو إلي الله الزّمان وصرفه

وإليك أشكو يا محمّد حاجا

من يشتكي لك إنّما يشكو لمن

سوّى وأنشأ نطفةً أمشاجا

إذ أنت باب الله كعبة قدسه

نسعى ونعكف حولها حجّاجا

قد جاء معنى: إن ظلمتم نفسكم

فأتوا إليه، وعرّجوا تعراجا

يا من رأى مولاه هبني نظرةً

لأرى ضياء جبينك الوهّاجا

بزمام أشواقي أتيت رحابكم

وقطعتها سبلاً إليك فجاجا[١]

عندما ظلّ الشعراء عاكفون على مدح الملوك يبتغون المكاسب الماديّة، عكف الشيخ الصدّيق على مدح المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يبتغي مكسباً روحيّاً، لمّا شكا الشعراء الزّمان من أجل حفنة دينارات،شكا الشيخ الصدّيق صروف الدّهر إبتغاء رحمة من الله ورضوان.ولعلّه يشير بقوله:

قد جاء معنى :إن ظلمتم نفسكم

فأتوا إليه وعرّجوا تعراجا

لعلّه يشير لقوله تعالى: (ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرّسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً)[٢]

كما أنّه يشير بقوله:(يامن رأى مولاه) لقوله عزّ وجلّ: (ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمارونه على مايرى(١٢) ولقد رآه نزلةً أخرى(١٣)) [٣] عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال : (ما كذب الفؤاد مارأى ولقد رآه نزلةً اخرى ، قال : رآه بفؤاده مرّتين)[٤]

١/ديوان الأزهريّات –الصّدّيق عمر الأزهريّ – ج١ – ص١١ –(تحت الطّبع)

٢/ سورة النّساء – الآية ٦٤

٣ سورة النّجم ، الآيات ١١- ١٢ – ١٣ .

٤ التاج الجامع للأصول ، منصور على ناصف ، ج ٤ ، دار الفكر – بيروت – ١٩٨١- ص٢٤٦.

وهي قضيّةٌ خلافيّة ليس البحث مجالاً لبسطها.

ويواصل الشّاعر في مدحه للرّسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه حتى يقول:

أُحدٌ أحبّك مثلما أحببته

لمّا علوت عليه تراجّ وماج

ثبّته ببنان رجلك قائلا

أثبت أحد فارتاح ثم تراج

وقد اعترتني هزّةٌ أحديّةٌ

والشوق أزعجني لكم إزعاجا

فحضرت بين يديك ثبّت لوعتي

واشرح وطمئن صدري الوجّاجا

إنّ المحبة أجّجت في أضلعي

ناراً ، وبحراً يقذف الأمواجا

وعلى جناح الشّوق جئتك زائراً

ومهاجراً لك ماقصدت زواجا

لا أبتغي إلا الرضى وسعادة

من زاركم فلغير ذلك ماجا

فالشاعر ومن خلال هذه الأبيات قد أشار للعديد من المعاني التي وردت في الاحاديث الشّريفة منها قول المصطفى صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه : (إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) طلع له أحدٌ فقال : (هذا جبلٌ يحبّنا ونحبّه)[١]

كما يشير لما رواه قتادة أنّ أنساً رضي الله عنه حدّثهم قال: (صعد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أحداً ومعه أبوبكرٍ وعمر وعثمان فرجف فقال النّبيّ:أسكن أحد – أظنّه ضربه برجله – فليس عليك إلا نبيٌّ وصدّيقٌ وشهيدان.)[٢] ثمّ فلنتأمّل قوله:

إنّ المحبة أجّجت في أضلعي

ناراً وبحراً يقذف الأمواجا

أنظر لهذا الجمع الغريب والبديع – في آنٍ واحدٍ – بين الاضداد الماء والنّار مَن مِن النّاس يستطيع أن يجمع هذين الضّدّين في مكانٍ واحدٍ وهذا لعمري ما تأتى للشاعر إلا من فرط عاطفته الصّادقه ومحبّته العميقة لسيد البشر أجمعين .

وهو يقرر هذا المعني من خلال البيتين التاليين :

وعلى جناح الشّوق جئتك زائراً

ومهاجراً لك ما قصدت زواجا

لا أبتغي إلا الرضا وسعادة

من زاركم فلغير ذلك ما جا

[1] صحيح البخارى ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري ، ج٣ ، الطبعة الأخيرة ، ١٩٥٣ ص١٩.
[٢] المرجع السابق ج٥ ص١٦

إن الشّاعر يؤكد سلامة نيّته ونبل مقصده فى زيارة الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) ، فهى مبرأة من كلّ هوىً نفسيٍّ ، لم يرد بزيارته دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوّجها في إشارة لقول المصطفى صلّى الله عليه وسلّم : (إنّما الأعمال بالنيّة وإنّما لكل إمرئٍ ما نوى . فمن كانت هجرته لله ورسوله فهجرته لله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [1].

والمديح النّبويّ عند الشيخ الصدّيق مليئ بالمعاني الفاضلة ، واللّغة الرّفيعة ، وقد تناول من خلال قصائده العديد من المناسبات الدّينيّة ،مستخدماً فى ذلك أسلوبه المتفرد فى الإشارة لمعاني القرآن الكريم ، والأحاديث النبويّة الشّريفة ،فها هو يتناول قصّة الإسراء والمعراج فيقول:

عليك صلاة الله ياخير من سرى

من الحرم المكّى إلى الحرم القدسي

لك الحمد والشّكر الجزيلان سرمداً

على الجود والإنعام من خالص النّفس

سريت بخير الخلق ليلاً لحضرةٍ

أبحت له فيها الشهود مع الإنس

وأعطيته ما لم ينله مقرّبٌ

وكمّلته فى باطن الأرض والحسّ

٣/ صحيح مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج م٣ ، رئاسة إدارات البحوث العلمية واللإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية ، ص ١٥١٥

فلا ملكٌ يدنو هناك ومرسلٌ

ولا أىّ مخلوق من الجنّ والإنس[١]

لمّا ذكر الشّاعر فى هذه الأبيات ما كان من أمر الإسراء والمعراج ، تحدث فى الأبيات التي تليها عن علم المصطفى (صلّى الله عليه وسلّم) ، فعلمٌ أمر بتبليغه وهي الرسالة ، ثمّ علومٌ أخرى خصّ بها بعض أصحابه مثل أبي هريرة (رضي الله عنه) حيث يقول :

منحت أبا هرٍّ جراباً يبثّه

وآخر يخفيه فبالغ فى الدّس

وقال لو أنّي منه أنفقت حبةً

فقدت وتيني وانتكست على الرأس

ويا ويل بلعومي إذ بحت سرّه

إلى غير من يدري السّمين من القسّ

ولعلّ الشاعر فى هذه الأبيات يشير لما أورده البخاريّ فى صحيحه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (حفظت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعاءين فأمّا أحدهما فبثثته ، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)[٢]

قد يجنح الشاعر في بعض الأحيان إلى الدّعابة ، والطّرفة ، مستخدماً أسلوباً سهلاً يكون في فهمه العالم والجاهل سواء كما في قصيدته التي صاغها

---

[١] الأزهريات ، مرجع سابق ، ص ١٥ .
[٢] صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

على طريقة نشرة الأخبار مستخدماً فيها أسلوب المذياع في الأخبار عندما يقول المذيع هنا أمدرمان ، هنا لندن فالشّاعر يقول :

هنا مكة ، هنا كعبة ، هنا مروة

وهنا الصّفا فلك الهنا ياساعي

هنا طيبة ،وهنا الضّريح ومنبر

هنا روضة الفردوس للمبتاعي

ياساكناً بطن الضّريح ، وسامعاً

شكوى الطّريح لكم رفعت ضراعي

فإليك أرفع عرض حالي موجزاً

تدعو إليه ضرورة ودواعـي

وفسيح صدري للإذاعة مركزٌ

يملى فتنطق إبرة المذيـاع

طوع الأثير ، وموجتي هي زفرةٌ

لمزيد شوقٍ من زمان رضاعي

بل من زمان(ألست) تألف روحكم

روحي فطال إلى السعادة باعي

لكنّ روحي بين جسمي أظلمت

وتألّبت ، وتبرقعت بخـداع

نسيت قديم عهودكم وتمرّدت

فأنا ونفسي في طويل نزاع

تلهو فأزجرها ، وليس بنافعٍ

إن كان من ينهاك غير مطاع[1]

صاغ الشاعر قصيدته علي منوال نشرة الأخبار ذاك لأنّ المذياع كان منتشراً في ذلك الزّمان ، وكان إرتباط النّاس به وثيقا فهم يتلقّون أخبارهم عن طريقه ، والشّاعر يمازج في هذه القصيدة بين الخوف والرّجاء، مؤكداً تعلّقه بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّم منذ أن كان في عالم الذّر في إشارةٍ لقوله تعالى: (وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين)[2] ولعلّها مبالغة محمودة تؤكّد عظيم حبّه للرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم. ويواصل القصيدة فيقول:

أصغيت مستمعاً :هلو من أنتم

فيقول : عامر قلبك الملتاع

فأقول أهلاً ياطبيب قلوبنا

وجسومنا من غفلةٍ وصداع

أبداً تطول لوصلكم أطماعي

ويعوقني عنكم خبيث طباعي

---

[1]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص٣٤.
[2] / سورة الأعراف - الآية ١٧٢ .

لكنّها نعم العناية أدركت

فوهبت حبّك منحنى أضلاعي

وجعلته ذخري ، وما لي غيره

عملٌ أرجّي من وراه نفاعي

من أجل هذا كنت شغلي سرمداً

نوماً ، وصحواً، غائباً ،أوواعي

الشّاعر في هذه الأبيات يجمع بين المذياع والهاتف، أو ربّما كان الإتّصال الهاتفيّ من داخل الإذاعة،وكلّ ذلك يؤكّد صدق العاطفة ، وقوّتها عنده ، حتى أنّه يشتكي معاناته المعنويّة، والحسيّة (غفلة وصداع) وهو دأب الصّوفيّة في تعاملهم مع الأحداث، والتّوسّل بذات الرّسول الكريم،فإنّهم يجدون في حبّه (صلّى الله عليه وسلّم) ملاذاً،وأمناً، ذلك لأنّهم يعيشون روح الحديث الذي رواه أنس بن مالك (رضي الله عنه) : أنّ رجلاً سأل النّبي (صلّى الله عليه وسلّم) :متى السّاعة يا رسول الله ؟ قال :ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاةٍ ولاصومٍ ولاصدقة ولكنّي أحبّ الله ورسوله قال : أنت مع من أحببت)[1].

[1] / صحيح البخاريّ - مرجع سابق - ج ٤ - ص ٥٥ .

المطلب الثاني :

مدح الخلفاء الراشدين :-

أولاً : أبوبكر الصّدّيق (رضي الله عنه):-

الملاحظ في شعر الأزهريّ كثرة إشاراته للآيات ، والأحاديث،كما امتاز في مدحه للخلفاء الرّاشدين بذكره للمناقب، والكرامات ، تلميحاً أو تصريحاً.فها هو يمدح سيدنا أبابكرٍ الصدّيق (رضي الله عنه) فيقول:

منهم عتيق بني الإسلام إذ ضعفت

بعد النّبيّ عرى الإسلام أو شادا

ولم يدع سيفه للدّين مظلمـةً

ولو عقال بعيرٍ كان شرّادا

دهاالصّحابة موت المصطفى فنسوا

من دهشةٍ أنّ للآجال ميعادا

واستعظموا الموت ، وانحلّت عزيمتهم

إنّ العزائم قد يغلبن آسادا

فأثبت الحقّ ، والأحلام طائشـةٌ

وأسند الموت للقرآن إسنادا

تلى عليهم من الآيات محكمـةً

شفت قلوباً ، وأرواحاً وأجسادا

(وما محمدٌإلا ...) فانثنوا عجباً

وردّدوا منه آىً الذّكر ترددادا

كأنّها قبل هذا لم تكن وردت

ما كان أحسنها وقعاً وإيرادا

لولا أبو بكرٍ الصدّيق أدركهم

لهاجت الأرض أركاناً وأوتادا[١]

فهو يذكر مناقب الصدّيق،محتفظاً بنهجه في الإشارات للقرآن العظيم، والسّنة المطهّرة.وأوّل ما بدأ به الشّاعر محاربة الصدّيق رضي الله عنه لمانعي الزكاة،في إشارة لما خرّجه البخاريّ فى صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه حيث قال : (لمّا توفي رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) واستخلف أبو بكرٍ بعده ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر لأبي بكرٍ : كيف تقاتل النّاس وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) : أمرت أن أقاتل النّاس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم منّى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله . فقال : والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصّلاة والزّكاة . فإنّ الزّكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكرٍ للقتال فعرفت أنّه الحق)[٢] .

ثم صوّر الشاعر مشهد الصحابة الكرام بعد موت الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وكيف أنّهم استعظموا موته ، ولم يصدّقوا ذلك ،حتى انبرى لهم أبو

---

١ /ديوان الأزهريات ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .
٢/ صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٨٢ .

بكر الصديق تالياً عليهم قول الله عزّ وجلّ : (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين)[1] . تلا عليهم سيدنا أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، هذه الآية الكريمة ، فأخذها عنه النّاس وكأنّهم لم يسمعوا بها من قبل ، يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنه : والله لكأنّ النّاس ما علموا أن نزلت هذه الآية حتى تلاها أبوبكر فتلقّاها منه النّاس كلّهم ، فما أسمع بشراً من النّاس إلا يتلوها .)[2] .

والمتأمّل لهذه الأبيات يدرك قدرة الشّاعر على التّصوير فقد جسّد حال الصّحابة يومئذٍ حتى لكأنّنا ننظر إليهم أمامنا وقد إنقلبوا على أعقابهم حتى ردّهم أبوبكرٍ إلى رشدهم .

ربّما يأخذ بعض النّاس على الشّاعر إيراده الأحداث التأريخية بغير ترتيبٍ حيث ذكر قصّة الردّة ومحاربة مانعي الزّكاة ثم بعد ذلك تطرّق إلى موقف الصّحابة عند موت الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، غير أنّنا لا نجد مأخذاً عليه ، ذاك لأنّه شاعرٌ وليس مؤرّخاً ، فهو من شأنه أن ينقل لنا أحاسيسه وعواطفه وليس من واجباته السّرد التأريخى بحسب التسلسل الزّمنى.

ويواصل الشّاعر في مدح الصدّيق معدّداً مآثره فيقول:

ماهذه أوّل الأيدى التى صنعت

خيراً فكم كان للخيرات معتادا

فأوّل النّاس فى الإسلام سابقةً

٣/ سورة آل عمران ، آية ١٤٤ .

٤/ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٥٠ .

وفى المهمّات أقوى النّاس إعدادا

واسى النّبيّ مواساةً مكرمةً

نفساً ، ومالاً ، وأهلاً ، ثم أولادا

آواه غارٌ كما آوى محمده

فنال أربعةً خذهنّ تعدادا

معية الله ، لا تحزن ، وصاحبه ،

وثانى اثنين ، والإحسان مزدادا

فى هذه الأبيات قد عدّد الشاعر بعض مناقب سيدنا أببكر الصّدّيق (رضي الله عنه) ، فهو أوّل من أسلم من الرّجال ، وهو من واسى الرّسول الكريم بماله ونفسه ،فهو حينما يذكر ذلك ، إنّمايشير لما أثبته البخاري فى صحيحه عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال : (كنت جالساً عند النّبيّ (صلّى الله عليه وسلمّ) إذ أقبل أبوبكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) : أمّا صاحبكم فقد غامر . فسلّم وقال : إنّي كان بيني وبين ابن الخطّاب شئٌ فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ فأقبلت إليك. فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً . ثم إنّ عمر ندم فأتى منزل أبي بكرٍ فسأل أثمّ أبو بكرٍ ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) فسلّم عليه ، فجعل وجه النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) يتمعّر حتى أشفق أبوبكرٍ فجثا على ركبتيه ، فقال يا رسول الله : والله أنا كنت أظلم مرّتين . فقال النّبيّ (صلّى الله

عليه وسلّم) : إنّ الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبوبكرٍ صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبي مرّتين . فما أوذي بعدها)[1] .

فهو ينقل سيرة الخليفة الأوّل في قالبٍ أدبيّ ، ويواصل في إشاراته،فنجده يومئ بقوله

آواه غارٌ كما آوى محمّده

فنال أربعةً خذهنّ تعدادا

معيّة الله ، لا تحزن ، وصاحبه

وثانى اثنين ، والإحسان مزدادا

يومئ لقوله تعالى : (إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني إثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنودٍ لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السّفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيزٌ حكيم)[2] .

ثانياً : عمر بن الخطاب (رضى الله عنه):-

وينتقل الشاعر من مدح أبى بكرٍ الصّدّيق إلى مدح عمر بن الخطّاب رضى الله عنهم أجمعين محافظاً على ذات النهج الذي عرف به من ذكرٍ للمناقب ، وإشارات للآيات والأحاديث فيقول:

فاروق من فرّق الله الضلال به

عن الهدى ، وعنى بالفتح فازدادا

١/ صحيح البخارى - مرجع سابق - ج ٢ - ص ١٩٧ .
2/ سورة التوبة - آية ٤٠ .

منه الشّياطين فرّت وانبرت

وملك كسرى انوشروان قد بادا

أضحى سراقة من أسواره فرحاً

وحامداً لنجاز الوعد تحمادا

والنيل فاض وأروى من رسالته

جرياً على غير ما ألفوه معتادا

كانوا يزفّونها بكراً محجلةً

تلقى فيزبد بالأمواج إزبادا

أراحها الله بالفاروق من سفهٍ

وبثّ فى مصر بعد الغىِّ إرشادا

ولاذ سارية بالسفح من جبلٍ

وفاز بالظفر الميمون إذ نادى

(ياسار) وهو على أعواد منبره

والنّاس تلتف للفاروق أعوادا

كأنّما الرّاديو ألقاها بمسمعه

فى منطوى نشرة الأخبار إيرادا[١]

عاد الشاعر يمدح سيدنا عمر بن الخطّاب رضى اللّه عنه يسنده علمٌ غزيرٌ بالسيرة ،فتحدث عن فتوحاته التي بلغت ملك كسرى في فارس معدداً كراماته ،

[١]/ الأزهريّات – مرجع سابق - ٢٤

ومناقبه ، فهاهي الشياطين تفرّ من أمامه ،وتترك له كلّ طريق يسلكه كما أخبرنا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في قوله : (إيهاً يابن الخطّاب والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غير فجّك) [1] . ثم تحدث عن سراقة بن مالك بن جعشم االمدلجيّ ذلك الذي تبع الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وأبا بكرٍ الصّدّيق (رضي الله عنه) يوم الهجرة طمعاً في جائزة قريش التي جعلتها ثمناً لمن يردّ النّبيّ (صلّىالله عليه وسلّم) . فلمّا دنا سراقة من ركب الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) دعا عليه المصطفى فساخت فرسه إلى بطنها في الأرض ، فطلب الأمان من الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) فأعطاه إيّاه وطلب منه أن يردّ عنهم قريش وبشّره بسواري كسرى ومنطقته وتاجه . وقد تحققت هذه النبوءة في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث دعا سراقة عندما أتته غنائم المدائن والجبهة الفارسيّة فألبسه تاج كسرى ومنطقته وسواريه ، وقال له عمر : إرفع يديك وقل الله أكبر . الحمد لله الذى سلبهم كسرى بن هرمز الذي كان يقول :أنا ربّ النّاس .وألبسها سراقة رجلاً إعرابيّاً من بني مدلج ورفع عمر بها صوته تحقيقاً لوعد الله ووفاء بعهد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم))[2] . وهاهو نيل مصر ماكان يفيض إلا إذا زفّت له عروسٌ مزينةٌ بكلّ ماهو نفيس – او هكذا كانوا يزعمون – فأبطل سيدنا عمر هذا الدّجل برسالته إلى نيل مصر والتي جاء فيها : (بسم الله الرّحمن الرّحيم ، إلى نيل مصر ،من عبد الله عمر بن الخطّاب . أمّا بعد . فإن كنت تجري من نفسك فلاحاجة بنا إليك ، وإن كنت تجري بالله فأجر على إسم الله . فلمّا ألقيت هذه الرسالة فى النيل جرى ستة عشر ذراعاً وزاد في كلّ سنّة ستة أذرع)[3] .

---

[1] صحيح البخاريّ، مرجع سابق، ج ٥ ص١١

[2] الهجرة حدث غير مجرى التاريخ ، شوقى خليل ، ص ٩٧ ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٣، ١٩٨٥

[3] الرياض النضرة في مناقب العشرة ، عمر بن الحرث ، ج٢ ، ص ٣٢٧ ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ط ١، ١٩٨٤

ثم يشير الشاعر في قصيدته إلى قصّة سارية قائد جيوش المسلمين بالشّام و كيف أنّ أمير المؤمنين قد خاطبه من على منبره في المدينة ، وتمام القصّة كما أوردها عمر بن الحرث أنّه قال : (بينا عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة وقال : يا سارية الجبل مرّتين أو ثلاثاً ، ثم أقبل على خطبته فقال ناسٌ من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) : إنّه لمجنون ، ترك خطبته ، ونادى : ياسارية الجبل ، فدخل عليه عبدالرحمن بن عوف وكان يبسط عليه فقال : يا أمير المؤمنين تجعل للنّاس عليك مقالاً ، بينما أنت في خطبتك إذ ناديت يا سارية الجبل أيّ شيءٍ هذا فقال : والله ماملكت ذلك حيث رأيت سارية وأصحابه يقاتلون عند جبلٍ يؤتون منه، من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل . فلم تمض أيّامٌ حتى جاء رسول سارية بكتابه أنّ القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلّينا الصّبح إلى أن حضرت الجمعة ، وذرّ حاجب الشمس فسمعنا صوت منادٍ ينادي الجبل مرّتين فلحقنا بالجبل ، فلم نزل قاهرين لعدوّنا حتى هزمهم الله تعالى)[1] . نعم سمع سارية بالشّام صوت أمير المؤمنين من المدينة وكأنّ هذا الصوت قد نقله له الراديو(المذياع) وهنا تظهر نفس الشّاعر المرحة وهو يقرّب الصّورة للأذهان بهذا التشبيه الطّريف ، فالمذياع هو الوسيلة المتاحة لنقل الأخبار في زمان الشاعر .

[1] المرجع السابق ، ص ٣٢٧

ثالثاً : عثمان بن عفان (رضي الله عنه) :

ولم يختلف مدح الشاعر لعثمان بن عفّان رضي الله عنه عن صاحبيه فقد تناول مناقبه، وكراماته، وفضائله، التى أثبتتها كتب السّيرة والأحاديث الصحيحة ، منتهجاً فى ذلك أسلوبه السّلس ،وبساطة التركيب وجزالة المعنى .

فهو يقول :

عثمان من جنّب القرآن مصحفه

زيداً ونقصاً ونسياناً وإفسادا

والحفظ من منزل القرآن هيأه

فأوصد الباب ذو النّورين إيصادا

يا نجل عفّان قد كنت إمرءاًلبقاً

آناء ليلك قوّاماً وسجّادا[١]

فأوّل ما بدأ به الشاعر من مناقب سيدنا عثمان هو جمعه للمصحف الشريف ، هذه المكرمة التى حفظت المصحف من التحريف والتبديل .

فعن أنس (أنّ عثمان دعا زيداً بن ثابت وعبدالله بن الزّبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرّهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنّما نزل بلسانهم ، ففعلوا ذلك)[٢] .

---

[١]/الأزهريّات – مرجع سابق – ص٢٥

[2] صحيح البخاريّ،ج ٤، ص١٨٠

ويواصل الشاعر فى ذكره لمناقب سيدنا عثمان بن عفان قائلاً:

وهبت للمصطفى تبراً يزيل به

عن المجاهد أتعاباً وإجـهادا

فقلّب التبر حتى قال من عجبٍ

ما ضرّ واهبه ذنبٌ ، وإن عادا

حويت نورين والمختار معتذرٌ

إليك من عدمٍ لو عـنده زادا

وصلت فى الله أرحاماً وأبعدها

لوجهه عمـر الفاروق إبعادا

كلاكما صائبٌ والكلّ محتسبٌ

وكلّكم كان درّاكـاً ونقّـادا

ما بالهم نقموا خلقاً أتيت بـه

وحمّلوا الصدر أوقاراً وأحقـادا

وخضّبوا بالدما كفّاً ومعصمـها

وأشمتوا فيك للإسلام حسّـادا

لم يستحوا منك والأملاك مغضيةٌ

ومصطفاها كما قد صحّ إسنـادا

واستعجلوا لنفاذ الأمر قدّره

ربٌّ حكيمٌ لما يقضيه نفّـاذا

نجد أنّ الشّاعر ومن خلال هذه الأبيات قد عدّد بعضاً من مآثر سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، فهاهو سيدنا عثمان يتبرع بماله مجهّزاً لجيش العسرة حتى قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : (ماضرّ عثمان ما فعل بعد هذا) وهذه إشارة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : جاء عثمان إلى النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم بألف دينار فى كمّه حين جهّز جيش العسرة وينثرها فى حجره فرأيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقلّبها فى حجره ويقول ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم)[١]

ثم يذكر زواجه من بنتي الرّسول صلّى الله عليه وسلّم رقية وأم كلثوم ، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : (لو كان عندى أربعون بنتاً لزوّجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهنّ واحدة)[٢]

كما أنّنا نلمح ذكاء الشاعر في جمعه بين سياستي الفاروق وعثمان في الحكم حيث وجد العذر لكليهما رغم إختلاف السياستين:

وصلت في الله أرحاماً،وأبعدها

لوجهه عمر الفاروق إبعادا

كلاكما صائبٌ، والكلّ محتسبٌ

[1] / التّاج الجامع للأصول فى أحاديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم - مرجع سابق – ص٣٢٩

١/ الرّياض النّضرة فى مناقب العشرة – مرجع سابق - ج ٣ - ص١٠ .

وكلّكم كان درّاكاً ونقّادا

ولا يكفّ الشاعر عن ذكر المناقب حتى وهو يتحدث عن مقتل عثمان نجده يشير لاستحياء الملائكة منه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله (صلّي الله عليه وسلّم) مضطجعاً فى بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكرٍ فأذن له وهو على تلك الحال فتحدّث ، ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدّث ثمّ استأذن عثمان فجلس رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وسوّى ثيابه فدخل فتحدّث فلمّا خرج قالت عائشة : يا رسول الله دخل أبو بكرٍ فلم تهتش له ولم تباله ثمّ دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثمّ دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك فقال : ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة)[1]

رابعاً : علي بن أبى طالب (رضي الله عنه) :-

وبمثل ترتيب خلافتهم مدح الشّاعر الخلفاء الرّاشدين الواحد تلو الآخر وهاهو يمدح الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، رابع الخلفاء الرّاشدين والذي تنقضي به الخلافة الرّاشدة حيث يعود من بعده الحكم ملكاً عضوداً وفى ذلك يقول الشّاعر :

لله حيدرة فى الحرب قسورة

وفى الوغى أسد يبتزّ آسادا

يا أصل ريحانتي طه خليفته

من بعد عثمان كم حاربت أوغادا

[1]/ صحيح مسلم- أبو الحسين مسلم بن الحجّاج -ج٤- باب الفضائل- ص١٨٦٦

خوارجاً أوقدوها فتنةً عميت

واستحكمت حلقاً صمّاً وأصفادا

من بعدكم فقدت أرضٌ توازنها

وركنها بعد تقويماتها مادا

مضت ثلاثون عاماً كلّها رشدٌ

بالرّاشدين وكان الكلّ أندادا

فى الخير والفضل كالتّرتيب بينهم

كن حازماً لا تحد عنهم كمن حادا

فصار ملكاً عضوداً بعد ما ذهبوا

(لله دينٌ غريبٌ) بعدهم عادا

أولئك الرّاشدون أذكر فضائلهم

وستة وأبا ذر ومقدادا

أحبّهم وأحبّ الصّحب من فتحوا

وأصلحوا بالهدى مصراً وبغدادا

رضوانك الله عن من هاجروا معه

أو ناصروه وآووا . دام آبادا [1]

لم يأت الشّاعر بجديدٍ في مدحه للإمام عليّ كرّم الله وجهه، حيث إتّبع ذات النهج في ذكر الفضائل،مشيراً للأحداث التأريخيّة ، والحروبات التي

[1]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص ٢٦

خاضـها ضـد الخـوارج ، ثـمّ يشيرلانقضـاء الأعـوام الثلاثـين التـي هـي أعـوام الخلافة الرّاشدة والتي من بعدها سيعود الحكم ملكاً عضوضاً كما تنبأ بذلك الرّسول الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) بقوله : (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكـون ملكـاً)[1] قـال الشّـارح : (إنّـه لـم يكـن فـي ثلاثـين سـنة إلا الخلفـاء الرّاشدون الأربعة والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي)([2])

وعـاد الدّين غريبـاً كمـا بـدأ تصـديقاً لقولـه (صـلّى الله عليـه وسلّم) : (بـدأ الـدّين غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء) [3]

وختاماً يمدح الشاعر الخلفاء الرّاشدين جملة إذ أنّهم جميعاً أندادٌ فى أعمال الخيرات والمكرمات ، ويذكر بجانبهم الستّة الآخرين المبشّرين بالجنّة ، ثم يذكر أبـاذر والمقـداد فـى اشـارةٍ لكـلّ أصـحاب الرّسـول الكـريم ثـمّ يسـمّي المهـاجرين والأنصار . ويخصّهم بالتّحية لفضلهم العظيم .

المطلب الثالث :

مدح رجال الطُّرق الصُّوفية :-

لـم يقتصـر المـدح عنـد الشّـاعر الصّـدّيق ألأزهريّ علـى الرّسـول الكـريم (صـلّى الله عليـه وسلّم) ، والخلفـاء الرّاشـدين فحسـب ، إنّمـا مـدح آخـرين ، مـدح شـيوخ الطّرق الصوفيّة خاصّة الطريقة التجانيّة – التى ينتسب إليها الشّاعر – وقد جاء شعر المدح عنده جادّاً وملتزماً وصادقاً ، فها هو يمدح الشيخ أحمد التجانيّ – مؤسس الطّريقة التجانيّة – فيقول :

---

[1]/ صحيح مسلم – مرجع سابق-ج ٣- ص ١٤٥٢
[2] / المرجع السّابق ص ١٤٥٢
[3]/ صحيح مسلم – مرجع سابق –ج الاول –ص١٣٠

قرّة عينك صلاة فرضاً أو نافلة

ذو الحضرة الحافلة والسنّة والكتاب

زكواتك كلّ عام للنقد والطّعام

وبهيمة الأنعام إن تمّت النّصاب

صوم الشّهر الوجب والصّوم المستحب

إنت البصوم رجب وترتّل الكتاب

وفيت العمرة وحجّ زورة نور المهج

وسعيت فى آخر فج لواسع الرّحاب

يا تجانى النّفقات والكسوة والصدقات

زاويتك للهبات مفتوحة الأبواب

أشار الشاعر في مدحه للشيخ أحمد التجانيّ لإلتزامه بتعاليم الدّين،ليؤكد سير الشّيخ في ذات الطّريق الذي سار فيه الصّحابة الكرام،إلتزاماً بالفروض، وأداءاً للنوافل، ولعلّ هذا ما ظلّ يميّز قصائد المدح عنده، وربّما كانت نفس الشّاعر المحبّة للتصوّف والمتصوّفين هي التي جنحت به لتقييد شعر المدح عنده في حدود الإلتزام الدّينيّ، والخلقيّ، وحتى إشاراته لكرم الضّيافة عند هؤلاء تأتي ممتزجةً بروح العطاء الذي حثّ عليه الإسلام. وإذا أمعنّا النّظر في قصيدته التي يمدح فيها الشّيخ إبن عمر والتي يقول فيها:

جلّ ربّي تعالى إنّه المتعال

ذو الجلال والجمال والصّفات الغرر

النّبيّ الهاشميّ سيد العالم

ذكره فى فمي طول عمر الدّهر

أنت صاحب الصّفا والوقار والوفا

جدّك المصطفى منه نور القمر

أنت حبّك وجوب فى زوايا القلوب

لو تراني أذوب إنّ قلبي انفطر

أنت درٌّ مصون فى زوايا البطون

أنت قرّة عيون أنت نور البصر

أنت حبّ الجنان يا بديع الزّمان

أنت نسل التّجان ابن خير البشر

أنت ضيفٌ جليل بين قلبي نزيل

السّلام الجزيل من جميع الزّمر

سيدي الحافظ ناصح واعظ

ثغره اللافظ باسماً كالزّهر

الصّدّيق أزهريّ مالكيّ أشعريّ

من سواكم عريّ بلّغوه الوطر[1]

إذا تأمّلنا هذه القصيدة نجد أنّ الشّاعر قد عاد تارةً أخرى للإشارات لمعاني الذّكر الحكيم، مؤكّداً فرضيّة حبّ آل البيت في إشارة لقوله تعالى: (ذلك الذي

[1] / العرائس الحسان – الصّدّيق عمر الأزهريّ -المكتبة الأهليّة - واد مدني - ص ٦ .

يبشّر عباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة فى القربى ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً إنّ الله غفورٌ شكورٌ)(١) فقد أراد الشّاعر أن يؤكّد صلة القربى ما بين الممدوح والرّسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأتمّ التّسليم لقدسيّة هذه الصّلة . ويواصل الشّاعر مدحه للشيخين إبن عمر، ومحمّد الحافظ فيقول:

بنفسك فاسلم من سهام لحاظها

وعرِّج لبدر التمّ مطلعه السعد

إلى قبسٍ من نّار موسى لنصطلي

به أو لعلّ النّار من حولها الرّشد

إلى الشّمس من نحو المغارب أشرقت

بها النّحس ولّى مدبراً وله البعد

وأمّا التي لم يقبل التّوب بعدها

إلى الآن لم تطلع جوانبها الجرد

يقولون أى الشّمس شوقتنا لها

كمشتاق خلد كلّما ذكر الخلد

أقول لهم ضيفٌ ألمّ بسوحكم

شمائله التقوى وشيمته الزّهد (٢)

---

١ / سورة الشورى - الآية ٢٣ .
٢/ العرائس الحسان – مرجع سابق – ص٨

كان الشّاعر يعيش روح القرآن لذلك فجلّ معانيه مأخوذة من معاني الذّكر الحكيم،فهو يشير لقوله تعالى:(وهل أتاك حديث موسى (٩) إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النّار هدىً (١٠)) (١) . ولنتأمّل شروق الشّمس من مغربها، في حدثٍ كبيرٍ أشبه ما يكون بعلامات السّاعة الكبرى تأكيداً لعظم الممدوح، وغزارة علمه،ولعلّها توريّة لطيفة تدلّ على تعلّق الشّاعر بالممدوح.وتسير القصيدة على هذا النّسق حتى يقول:

تسوّر محرابي فقلت له اتّئد

فهذا حنيذ العجل طعمك والرفد

فما مدّ يمناه إلىالزّاد آكلاً

فأوجست خوفاً واعتلى خلدي رعد

فقلت ملاكٌ أنت أم شمس مغربٍ

طوالعها من فاس ساحقة تبدو

فقال عليك اسم الإله فلا تخف

وبشّرني قلت الفتى السّبط الجعد

نجد أنّ الشاّعر قد اقتبس هذه المعاني من القرآن الكريم حيث اقتبس (تسوّر المحراب) من قوله تعالى : (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب) (٢) بينما إقتبس قصّة العجل من موقف سيدنا إبراهيم عليه السّلام من الملائكه في قوله جلّ شأنه :(ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً

[1]/ سورة طه – الآيتان ٩-١٠ .
[2] /سورة ص-الآيه ٢١

قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذٍ * فلمّا رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنّا أرسلنا الى قوم لوط)(١)

ويعود الشّاعر ليضفي على الممدوح هالة من القدسيّة بذكر قرابته من الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم فيقول :

حفيد أبي العباّس قرّة أعين

رفيع العماد جمع صحته عمد

أحاشي من التكسير مولاي جمعكم

سلمتم وفداكم بأدمعه الجود

وهنا تظهر روح الشّاعر المرحه فهو حين مدح شيخه بأنّه رفيع العماد ذكر بأنّ جمع الصّحة لعماد عمد ، والصحيح أنّ عمد هي جمع التكسير ولكنّه جاء في البيت الآخر واعتذر عن ذلك بأنّه يتحاشى التكسير! وفي ذلك يقول الشّاعر : (الصّواب جمع تكسيره عمد بالتّحريك ، لكنّي تحاشيت في القصيدة لفظة التكسير لبشاعتها فقلت جمع صحّته عمد ، على سبيل المغالطه الأدبيّة)[٢]

يواصل الشاعر في مدحه للحفيد ابن عمر في رحلته لغرب السّودان،فها هو يتحدث عن زيارته لقرية السّاعات قائلاً:

يا ساكني السّاعات زار دياركم

بدرٌ محا بنزوله الظّلمات

أحيا طريقة جدّه وأفادكم

---

١ /سورة هود – الآيتان ٦٩-٧٠

٢ / العرانس الحسان – مرجع سابق –ص٨

حبّاً على الحبّ القديم الذّاتي

نورٌ على نورٍ لأنّ طريقه

إرث الجدود الشمّ والجدّات

قويت مودةٌ بينكم بقدومه

وجلوسه بمنصة الحفلات[1]

نظم الشّاعر هذه القصيده بمناسبة زيارة الشيخ ابن عمر –حفيد الشّيخ أحمد التجاني – لقرية السّاعات بغرب السودان ، وقد بدأ قصيدته بالمدح،والإشارة لفضل الممدوح، وذلك حتى يهيئ المجتمع لقبول حديثه،ثمّ يتناول شروط الطّريقة التّجانيّة فيقول:

ترك الوثيقة عندكم مختومةً

لتكون تذكاراً وحسن ثبات

قالت وثيقته طريقة جدّنا

تلغي السّوى من سائر الطّرقات

لا قبلها لابعدها بل وحدها

تغنيك فاستمسك ببنت ثقات

لازم محبتها وخدمة أهلها

مستأنساً بالله طول حياة

إن فات وقت أداء وردٍ فاقضه

[1] العقود بين النهود- مطبعة الفجّالة الجديدة - القاهرة- ص ٢٩ .

واحذر من التّفريط والغفلات

واقض الوظيفة واحتفل بوضوئها

فإذا عجزت تيمّم الصّعدات

حافظ على الصلوات فى أوقاتها

بجماعةٍ وتثبتٍ وأنـاة

وتجنب المحظور من شربٍ ومن

نظرٍ ومن زورٍ ومن سرقات

يافوز من حفظ الشّروط وصانها

مستغفراً من سقطة العثرات

عـدّد الشّـاعر شـروط وآداب الطريقـة التجانيّـة ،ومـا هـي إلاّ الآداب الإسـلاميّة ، لـذلك جـاء أسـلوبه واضـحاً، وخطابـه مباشـراً،ولأنّ المجتمـع مهيـئٌ نفسيّاً، لـم يجد الشّـاعر عسـراً فـي توجيـه خطابـه بأسـلوب الأمـر،ولم تفت علـى فطنة الشّاعر الإشارة لحسن العاقبة للملتزمين بهذه التّوجيهات. ورغم أنّ الشاعر كان يتحدث عن شروط الطّريقة التجانيّة إلا أنّه ما زال متأثّراً بممدوحه وكأنّه أراد أن يؤكّد إلتزام الممدوح بهذه الصّفات، كما نلاحظ أيضاً تأكيده على صلة القربى بين الممدوح والرّسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأتمّ التّسليم،ليحرّك العاطفة الدّينيّة عند المخاطب .

كما أننا نلاحظ صدق العاطفة ، وقوّتها في قصيدته التى يمدح فيها الشيخ يوسف البقويّ . أحد رجال الطّرق الصّوفيّة – حيث يقول:

ألا أيّها البقويّ (يوسف) أفتنا

عن السنبلات الخضر والبقرات

عزيز مناصير ملكت كنوزها

حفيظاً على الأرزاق والنفقات

أتيناك نبغي ميرةً معنويّةً

فبالله يابقويّ جد بهبات

فلانبتغي منكم حطاماً وزخرفاً

يروح جفاء قبل عسْر هنات

تكرّم بأسرارٍ حوتها صدوركم

يلوح سناها منك فى البسمات

وأنفاسكم تهدي إلينا عبيرها

فنرتاح من أنفاسك العطرات

جزى أله بقويّاً على حسن صنعه

وأكرمه في الخلد بالدّرجات (١)

استعار الشّاعر قصّة نبيّ الله يوسف عليه السّلام في مدحه لشيخ المناصير ،ولا غرابة في ذلك، بل ذلك ما ظلّ يميّز شعره، وقد نلحظ قدرة الشّاعر على استعارة قصص القرآن، وإلباسها ثوب الحاضر ،أمّا قوّة العاطفة، وصدقها في مدحه للبقويّ ، فمردّها للرّباط الصوفيّ الذي يجمع بينهما .

[1] الأزهريات-مرجع سابق-ص٦٣

المطلب الرابع :

مديح المناسبات :

مدح الشّاعر أقواماً آخرين في مناسبات مختلفة ، فمن هؤلاء أولئك الذين أكرموا وفادة الحفيد ابن عمر في زيارته لغرب السّودان، مثل عكاشة هلال، المكنّى بأبي معاويّة حيث قال:

السّبق أحرزه الأريب عكاشة

من غيره في القوم (دقّ الميسا)(١)

ذو همّةٍ عظمى وصدق عزيمةٍ

شاكّي السلاح أريت (خشم الموسى)(٢)

قتل الدّجاجه ثم أحرز بيضها

فأبو معاوية اتّخذه أنيسا (٣)

ذكراه في شرق البلاد وغربها

حتى لقد وصلت (بيا وبلوسا) (٤)

وواصل الشّاعر مدحه للذين أكرموا الشّيخ بكلّ المناطق التي نزل بها بغرب السودان ، فهاهو يمدح ضابط البوليس بمركز كتم، ومدير المدرسه، والمعلّمين ،والطّبيب ،وكلّ أهالي كتم فيقول :

برياسة البوليس بدرٌ يلتقي

١/ دقّ الميس:مثل سودانيّ يضرب لمن لمس الحقائق بيده.

٢/ خشم الموس:فارس مشهور.

٣ / قتل الدّجاجة وأحرز بيضها: مثل سودانيّ دارجيّ يضرب لمن استأثّر بشيءٍ دون النّاس.

٤ / بيا وبلوس _جبلان معروفان بشرق السّودان العقود بين النهود – الصديق الأزهري - مطبعة الفجّلة الجديدة – ص٤٤

بدراً يلوح جبينه أنوارا

ولنعم مأمور البلاد مهذّبٌ

يغضي عن الجاني يقيل عثارا

ومؤدّب الأبناء مصلح شأنهم

ذو همّةٍ تخذ الدّهاء شعارا

لاأستطيع تقصّي الفضلاء بل

عند الحكيم أطلسم الأشعارا

أكرم بقاضي الشرع قاضٍ مقسطٍ

عدلٌ عفيفٌ ما ارتشى ما جار

وبكاتبٍ عن كلّ شينٍ غائبٌ

ولدى الفضائل حاضرٌ محضارا (١)

الملاحظ في مدح الشّاعر لمن أكرموا الشّيخ ، ولرجالات الخدمة المدنيّة بكتم أنّه يغلب عليه الأسلوب التّقريريّ ، وربّما كان مردّ ذلك تعلّق الشّاعر بالشّيخ ابن عمر، فجاءت كلماته في شأن هؤلاء مجاملةً،وإكراماً للشيخ وفي ذلك يقول الشاعر : (وما فى هذا الديوان من التّعرّض لمدح بعض الملوك إنّما هو تبعٌ لإشارة الأستاذ تكرمةً لهم منه أداءً لما قاموا به نحوه من حفاوة وإكرام فلايسعنى إلا الطوع)(٢)

[1] العقود بين النهود- مرجع سابق – ص٧٣

[2] العقود بين النهود-مرجع سابق-ص٤

وللشـاعر علاقـاتٌ اجتماعيّـة مميّـزة، منهـا علاقتـه بـدكتور داود مصـطفى خالد،حتى أنّنا نجده قد فرح بزيارته لمدينة رفاعة أيّما فرح، وصـاغ ذلك شـعراً قائلاً:

فرحت رفاعة وازدهت وتباشرت

لمّا تبوّأها الطّبيب المـاهر

يانجل خالد مصطفى إنّ ابنكم

داود شرّفنا فنعم الزّائـر

وأتى لنا يسعى بصحبة عمّه

وشقيق والده،فنعم مصـاهر

سلمت شمالك واليمين سليمةٌ

وأنامل في الجود غيثٌ هامر

إذ كلّ أُنْمُلةٍ طبيبٌ سيّما

سبّابةٌ هي ما يلي ويباشر

قد بوركت يمناك وهي نزيهةٌ

قامت بواجبها فجهدك وافر

كم ذا شفيت عضال داءٍ مبهمٍ

وسواك في أمثال ذلك حائر

من أجل هذا داركم معمورةٌ

منها المريض يعود وهو الشّاكر

والنّاس تشكر فضلكم وجهودكم

نثراً ونظماً هكذا أنا شاعر

دم أنت أستاذاً ملكت وظيفةً

من نالها لا شك فهو الظّافر[1]

فرح الشّاعر بزيارة صديقه دكتور داود فنسب هذا الفرح لمدينة رفاعة بأكملها إمعاناً في حبّه، وتأكيداً على قوميّة الرّجل،وكماأطلق المحل في بداية أبياته وأراد به الحال، فكذلك نجده قد أطلق الكل في ختام أبياته ليشكره على لسان النّاس كلّهم،وهذا دليلٌ على حفاوة الشّاعر بالزّائر الكريم.

مدح الشاعر النّبىّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ثمّ مدح الخلفاء الرّاشدين عليهم رضوان الله ، ثمّ مدح شيوخ الطّرق الصوفيّة ،وغيرهم ، وقد جاءت قصائد المدح عند الشّاعر سلسة الألفاظ ، واضحة المعانى ، ولم يخل أسلوبه من الطّرفة ، وإن صعب على الأفهام معنى بيت ، فذلك يعود إلى إشارة البيت لبعض معاني الآيات والأحاديث النبويّة ،ومتى ما علم المرء الآيّة أو الحديث الذى يشير إليه البيت أصبح المعنى واضحاً جليّاً، ولعلّ هذّا ما عناه بروفسيرعبد الله الطيّب فى تقديمه لديوان الأزهريّات للشّاعر الصدّيق عمر الأزهريّ حيث قال : (وبعد فقد تصفّحت هذا الكتاب ،ووجدت طريقته واحدة ، وهى طريقة المعلّمين فى اليسر والوضوح ،وإذا عسر شئٌ فإنّ سبب عسره

[1]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص١٠٥

يكون الإشارة إلى آيّة قرآنيّة ، أو حديث نبويّ ، ومتى شُرح ذلك فإنّ العسر يزول) ([1])

ولذلك فإنّ الباحث قد حاول مجتهداً ما وسعه الإجتهاد الرّجوع إلى هذه الآيات ، و الأحاديث ، وكتب التّفاسير ،والسّيرة ،وأثبت ذلك فى هذا البحث حتى تكون الصّورة واضحة جليّة ، وتعمّ الفائدة.

[1]/ المرجع السّابق -ص١

المبحث الثاني

الإخوانيات

شعر الشيخ الصّدّيق الأزهري مليئٌ بالإخوانيات، وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على روح الشّاعر المرحة، المحبّة للنّاس، المقبولة من الجميع ، فهو رجلٌ إجتماعيٌ، مشاركٌ للنّاس في أفراحهم وأتراحهم ،وقد أفرد الشّاعر باباً كاملاً في ديوانه الأزهريّات بعنوان الإخوانيّات . فهذه مساجلةٌ أدبيّةٌ بينه وبين الأستاذ عمر سليمان وداعة الله ناظر مدرسة رفاعه الوسطى في الأربعينات من القرن الماضي حيث وجّه الشّيخ الصّدّيق الدّعوة لصديقه عمر سليمان لتناول وجبة العشاء فقال:

عشائي لو علمت به (طُريقة)[١]

وما كان الإدام سوى (أم رقيقة)[٢]

وزورتكم بها شرفٌ لداري

فهل شرفتمو تلك الحديقة

مساء اليوم كي نحظى بأنسٍ

على نذرٍ قليلٍ من (مُريقة)[٣]

(وشايٍ أحمر) قد جيد صنعاً

و(فنجالاً) من القهوة الزُّريقة[٤]

---

[١] / طريقة : تصغير (طرقة) وهي القطعة الواحدة من الخبز السوداني المعروف ب(الكسرة)

[٢] / أم رقيقة : نوع من الوجبات الشعبية السودانية

[٣] / مريقة : تصغير مرقة وهى الحساء

[٤] / الأزهريّات –الصّدّيق عمر الأزهريّ-تحت الطّبع– ص٩٦

أنظر إلى هذه البساطه في العيش ، والرّقة في التعامل ، فهو يدعو صديقه إلى وجبة عشاء ليس فيها سوى (أم رقيقة) هذا الطعام الشعبي والشاي والقهوة فجاء أسلوبه بسيطاً، ليس به تكلّف . ثم يرد عليه صديقه عمر الذي كان يأمل في عشاء فاخرٍ على غير ماذكر الشّيخ فقال:

عشاؤك قد علمناه (كنافة)[1]

و(حلوك) خير فاكهة الضّيافة

وما بالأرز من إتقان طهوٍ[2]

حوى كأس التفنّن والنّظافة

إذا عاد(الإمام) إلى نداه

أجبناه على بعد المسافة

ورددنا ثناء مستطاباً

على (الصّدّيق) مصباح الخلافة

ولمّا علم الشّيخ الصّديق بنوايا صديقه في عشاء فاخرٍ أرسل إليه منذراً فقال:

أرى الآمال حول عشاي حامت

فأولاني تطاولها مخافة

لذاك أحيط علماً كلّ صحبي

لتنقطع الزيارة والضيافة

---

[1] / كنافة : نوع من الحلوى السودانية

[2] / وردت عند الشاعر (طهيٍ) ولعل الصواب ما أثبتناه

ومن يسعى إلينا بعد هذا

ربطناه وأوثقنا كتافه

ولمّا وصلت هذه الأبيات التّهديديّة إلى صديقه عمر سليمان أعلنها في الملأ من صحبه قائلاً :

نوى ربّ(أم رقيقة) فعل سوءٍ

وإلى أن يكتف من أضافه

وذاك لمن يريد شراب ماءٍ

على ظمأ ، ولم يطلب خلافه

ومن رام العشا[1] ونوى مبيتاً

لبات رهين قبرٍ في القرافة

نشرنا ذلك الإعلان كي لا

يطوف بداره وفد الضّيافة

ولكن سرعان ماراجع الشّيخ الصّدّيق نفسه واعتذر عن طرده أضيافه ،رغم أنّ ذلك جاء منه على سبيل المداعبة ، لكنّ نفسه المليئة بالإيمانيّات والروحانيات أبت عليه إلا أن يستغفر لذنبه ويسترضي أصحابه قائلاً :

بك اللّهم من شحٍّ ومن بخلٍ

أعوذ أعوذ ألفي ألف مرّة

[1] / وردت عند الشاعر (العشاء) وقمنا بحذف الهمزة حتى يستقيم الوزن

وماذكر الوثاق وذكر ربطٍ

سوى مزحٍ تنزّه عن معرّة

ورحباً بالضّيوف ومن يزرني

ألاقيه ببابي برّة ....برّة

كان الشّاعر صاحب نفسٍ شفيفة ، لذلك جاء شعره سلساً رصيناً ، واضح المعاني ، مفعم بالحيوية ، وقد يستخدم الشّاعر الألفاظ العاميّة طلباً للدّعابة ، وتوضيحاً للمعنى كما قال إنه يلاقي أضيافه (برّة..برّة) . أى خارج الدار تأكيدا للكرم وتأكيدا لإحتفائه بهم .

وإنك لتجد روح الشاعر المرحة في معظم شعر الاخوانيات عنده ، فهاهو يرسل للحاج محمد النقر أبيات يشكره فيها لأنّه قد أهدى للشيخ (خروف الأضحية) فيقول :

هديتكم جاءت تجرجر ذيلها

علي أربعٍ تختال معجبةً تمشي

تصيح بأعلى صوتها.أشبعوني

سأشبعكم شيّاً وأمتعكم محشي

يؤانسنا في كل يومٍ خوارها

فنكرمها بالماء والتبن والعيش

فنشكر مهديها ونشكرنجله

جزاكم على معروفكم خالق العرش [1]

ونجد الشاعر يشارك النّاس في جميع مناسباتهم ،فهاهو يرسل إلى الشيخ محمد لطفي عبد الله يهنّئه بمناسبة ترقيّته مفتشاً للتعليم بوزارة المعارف (سابقاً):

نثرت كنانتها (المعارف) بينها

لترى أحقّ النّاس بالتفتيش

وجدتك أهلاً للمكارم والعلا

فكستك مكبرةً لباس الرّيش

آوتك في إيوانها فلك الهنا

بالمنزل السامي الذرا المنقوش

فاهرع لمنزلك الرّفيع وقل لها :

يانفس في دنيا المهيمن عيشي [2]

اشتهرت مدينة الفاشر بصناعة الأحذيّة (المراكيب الفاشريّة) فكتب الشّاعر للشّيخ علي عبد الرحمن الأمين الضّرير– الذي كان قاضياً بالنّهود – طالباً منه إرسال مراكيب فاشريّة للعيد فقال :

ياقاضياً بالنّهود

فخراً لكلّ مفاخر

---

[1]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص١٠٠.
[2]/ المرجع السّابق – ص١٠١

ياكاسياً كاتبيه

نعلاً تضاف لفاشر

إذاهمو لبسوه

توهموا العيد باكر

وباء كلٌّ بحمدٍ

على الصنائع شاكر[1]

فردّ عليه الشيخ علي عبدالرحمن قائلاً :

يامن هم في فؤادي

وجسمهم في رفاعة

جاء الكتاب وشكراً

نتلوه في كلّ ساعة

معناه طردٌ صغيرٌ

من فاشري الصناعة

يأتيكم ببريد

مناله في سراعة

وكلّ عامٍ وأنتم

صلاتكم في جماعة

[1]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص١٠٣

تميّز شعر الإخوانيّات عند الشيّخ الصّدّيق عمر الأزهريّ إلى جانب الطّرفة، والدّعابة، بالمساجلات الأدبيّة بينه وبين الشعراء من أقرانه فهذه مساجلة بينه وبين الأستاذ حسن أزهريّ – شقيق الشّاعر – مناسبتها أنّه وعند وفاة الشيخ محمد النّور برفاعة في أواخر الأربعينات حضر الاستاذ حسن أزهريّ مع وفد للعزاء من أم درمان ، وكان السّفر شاقاً وقتها بالقطار إلى الحصاحيصا ثمّ عبور النيل الأزرق بالمراكب ثمّ العربات حتى رفاعة فنشر الأستاذ حسن أزهريّ الأبيات التالية بجريدة السّودان الجديد في باب الطّرائف:

إذا مات من ترجو العزاء لأهله

فلاتتسرع في حضور المآتم

وأرسل جنيها واحداً أونصفه

ليقضي به المحزون بعض اللّوازم

وترتاح من أتعاب جسمٍ وعلّة

ويرتاح من كلّفته بالولائم

وإن ترني أخطأت فيما أقوله

فسافر ففي الأسفار خمس جرائم

ركوب المحلّي وإنتظار قطاره

وجوعٌ وأمراضٌ وصرف دراهم! [1]

[1]/ المرجع السّابق – ص١١٢

لكنّ هذا المنطق لم يعجب الشّيخ الصّدّيق ،هذا الرّجل الإجتماعيّ الذي لاينظر إلى الحياة هذه النظرة الماديّة ،إنّما الحياة عنده تواصل وحب ،فما كان منه إلا وأن ردّ على الاستاذ حسن بقوله :

إذا رجع الإنسان يوماً لرشده

تدارك ما قد كان عنه يناضل

تسرّك أفراحي فتأتي مشاطراً

فكيف إذا الأحزان مسّت تماطل ؟

إذا أنا لم أحضر إليك معزيّاً

وأرسلت آلاف الجنيهات فاشل

فمالك وفّره عليك وعزّني

بنفسك في الخطب الأليم أزاول

تخفف آلامي صباحة وجهكم

بأنفاسكم تجلى همومي الدّواخل

وإن قدّم الإنسان بعد حضوره

قليلاً من المعروف ها أنا قابل

كان الشّيخ الصّديق محبّاً للنّاس ، يمشي في قضاء حوائجهم فهاهو يكتب رسالة توصية للدكتور داود مصطفى يوصيه فيها خيراً بالأستاذ بشير عبد الجبار المعلّم بمدرسة رفاعة وقد كان مريضاً ويرجو العلاج على يد بروفسير داود مصطفى فقال :

سلامي جميلٌ والتّحيّة عرفها

يفوح بأرجاء الدّيار عبير

فأرسلتها تسعى إليكم نفيسة

ويحملها مني إليك بشير

بشيرٌ أتى دارالعيادة يرتجي

شفاءً ، ويا داود أنت قدير

عسى حقنةً منكم ينال بها الشفا

عسى جرعةً منكم له وعصير

وفي ظلّك الميمون يجلس آمناً

ويخبركم عمّا يكنّ ضمير

مباركة يمناك وأيضاً شمالكم

أناملكم للصّالحات تشير

بشيرٌ حبيبي وهو أكرم زائرٍ

وأنت بتكريم الضّيوف جدير[1]

هكذا جاء شعر الإخوانيّات عند الشّاعر الصّدّيق عمر الأزهريّ سهل العبارة ، رقيق الأسلوب، واضح المعاني، منزّهاً عن التكلّف ، مليئاً بالطّرفة والدّعابة ، كما اشتمل على العديد من المساجلات الأدبيّة ، وإنّك لتستنشق من

[1]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص١١٣.

خلالـه روح الشّـاعر المرحـة ، المحبـة للخيـر للنّـاس ، وهـو يسـعى فـي قضـاء حوائجهم ، وربّما استخدم الشّاعر بعض الألفاظ العاميّة توضيحاً للمعنى.

المبحث الثالث

الرّثاء

نظم الشيخ الصّدّيق عمر الأزهريّ جلّ شعره فى مدح المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، وأصحابه الكرام ، والشّعر الصّوفيّ بصورة عامّة ، ثمّ الإخوانيات ، أمّا الرّثاء فهو قليلٌ عند الشاعر ، وممّا ورد عنه فى هذا الباب مرثيته للشّيخ أحمد العقّار – أحد علماء الجزيرة – حيث قال :

كلّ شئ هيّنٌ فقدانه

ليت شعري غير فقد العلما

هم نجوم ومصابيح الدّجى

شهبٌ تسطع فى جوّ السّما

محنةٌ عظمى علينا فقدهم

ومصابٌ مدلهمٌ عظما

كلّما طال مداه لم يزل

جرحه الدّامى يزيد الألما

سيّما الأستاذ نبراس الهدى

أحمد العقّار كان العلما

حبّه المولى فلبّى دعوةً

وهب الرّوح بها واستسلما

غاب عنّا فاعترتنا وحشةٌ

أدهشتنا فجرى الدمع دما

طالت الأحزان فامتدت بنا

وهو فى مقعد صدقٍ مكرما[1]

يرثي الشّاعر بهذه الأبيات العالم أحمد العقّار ، وكأنّي به يرثي نفسه ، أليس هو أحد العلماء ؟ أليس هو ممّن كان فقدهم على النّاس محنة عظمى ؟ نعم لقد كانت وفاة الشاعر محنة على جميع أهل رفاعة ، افتقدوا جرأته في الحق ، ودروسه وخطبه المنبريّة وهكذا شأن العلماء ، خطبهم جلل وفقدهم عظيم . رثى الشاعر أحمد العقّار ، ورثى فى شخصه جميع العلماء ، وتسير القصيدة على هذا النّسيج الرّائع ، والإلتزام الدّيني ، فما جنح الشّاعر للجزع ، ولا دعا فى شعره بدعاوى الجاهليّة ، إنّما كان مؤمناً ، صادقاً ، محتسباً ، محسن الظنّ فى الله فيقول :

حسن ظنّي أنّه مستأنسٌ

وهب المولى إليه النّعما

بات شيخ العلم ضيفاً مكرماً

وبه أمسى حشانا مضرما

وعلى الله إحتسبنا أجرنا

إنّ للآجال حدّاً مبرما

[1] الأزهريّات –الصّدّيق الأزهريّ –تحت الطّبع- ص ٦١ .

فاصبروا يا آل عقّار ويا

طالبي علمٍ ويا من أسلما

كذلك رثى الشّاعر خالته زينب الفكي الضّرير ، وقد كتب هذه القصيدة عند زيارته لقبر خالته بمقابر أبي نجيلة بالخرطوم بحري فقال :

حقٌّ علىَّ أزور زهرة جدّتى

وتجيئ بي لضريحها نزعاتي

وأزور سكان (أب نجيلة) كلّهم

من أجلها من غير ما علّات

وأزور سابلة القناع خديجة

أمّي بقصد البرِّ والبركات

بنت الأمين الطّهر برَّة بعلها

كانت له من أبرك الزّوجات

وأزور ربّات العفاف جوارها

أقضي بذلك واجب الخالات

يا بنت داود عليك تحيةٌ

بركاتها تمتدّ للأخوات[1]

[1] الأزهريات ، مرجع سابق ، ص ٨٠

قام الشّاعر بزيارة (أب نجيلة) وطوّف بجميع أهلها برّاً لخالته ، وإكراماً لهذا ورغم المصاب الجلل إلا أنّ الشاعر كان متماسكاً تماسك العالم المؤمن بالقضاء والقدر ، ودائماً له أمل فى الله سمح فيقول :

حقٌّ علىَّ أزور زينب خالتى

فى الرّوضة الفيحا مع الجدّات

شملٌ تشتت فى الدنا فتجمّعت

أوصاله فى القبر بعد شتات

إلى أن يقول :

يا زينب الحسنات نمت قريرةً

وعيوننا أمست بكم سهرات

دار العلوم كما علمت فسيحة

وأبوك فيها واسع السّكنات

والموت راحة مؤمنٍ وسروره

والقبر فيه ملائك الرّحمات

ظنّى جميل إنّ ربّى ناظرٌ

لضريح زينب أكرم النّظرات

فتذكرينا وافرحى بقدومنا

عمّا قليل كلّنا لممات

أوصيك إحساناً بكلّ صديقة

وأنا ابن أختك عطّرى غرفاتى

فبحق زمزم والحطيم وركنه

ووقوفك الميمون فى عرفات

منّى علينا بالرّضا وتجاوزي

عمّا مضى منّا من الهفوات

أنظر إلى هذه المحبّة الصّادقة ، وإلى الإيمان القوى بقدر الله ، وبالرّغم من أنّ الشاعر فى موقفٍ حزينٍ إلا أنّه لم يتخلّ عن روحه المرحة ،وكأنّه يسلّي نفسه ويواسيها بقوله (أنا ابن أختك عطّرى غرفاتى) ولعلّ روحه هذه هى التى جعلت شعره وفى معظم الأغراض التي تناولها يأتي سهلاً سلساً ، بعيداً عن التّكلف ، تفيض منه العاطفة الصّادقة ، فها هو الشاعر يتألّم لفراق أحبّائه ، لكنّه يصبر ، ويرضى بقدر الله وقضائه ، إنّه يحزن عليهم لكنّه موقنٌ بأنّه ملاقيهم لا محالة .

المبحث الرَّابع

الغزل

الغزل عند الشّاعر قليلٌ جدّاً حتى إنّنا لانكاد نلمحه إلا في مقدمة قصائد المدح،فقد بدأ قصيدته في مدح الحفيد إبن عمر بالغزل، شأنّه في ذلك شأن القدماء، ولعلّ التّربيّة الدّينيّة للشّاعر ، ووقاره قد ضربا حول نفسه سياجاً من العفّة منعه من تناول الغزل كغرضٍ شعريّ .

بدأ الشّاعر قصيدته العرائس الحسان – والتى يمدح فيها السيد ابن عمر – بالغزل فقال :

تنهّد لمّا أن طعنت بنهده

فأمرضنى منه التنهّد والنّهد

ونزّهت طرفي فى التّرائب خلسة

فمن وهج الرّمّان أتلفنى الوجد

لي العذر إن فرّ اصطّبارى ولم أطق

فسهمان لا يقوى لها الحجر الصّلد[1]

ثم يتخلّص الشاعر من الغزل تخلّصاً جميلاً وهو يدخل فى الغرض الأساسي للقصيدة وهو مدح السيد ابن عمر فيقول :

---

[1]/ الأزهريّات ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

بنفسك فاسلم من سهام لحاظها

وعرّج لبدر التمّ مطلعه السّعد

استخدم الشاعر أسلوب القدماء فى هذه القصيدة ، وهو الإسلوب نفسه الذى نهجه كعب بن زهيرٍ فى لاميّته الشهيرة – بانت سعاد – التى مدح فيها الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) . والشاعر الصّدّيق الأزهريّ إذ يمدح السيد ابن عمر فهو يرى فى مدحه مدحاً للمصطفى (صلّى الله عليه وسلّم) وهو فى ذلك يقول:

تأبّط خيراً من تأبّط مدحكم

وحاوله نظماً فطاوعه السّرد

فحاك لبوساً منه للنّاس حلية

فلا يشتكي بأس ولا يشتكي برد

مدحت رسول الله لمّا مدحتكم

رجاء جزاء ليس يحصره العدّ

فكعبٌ أتى يوماً لجدّك مادحاً

فأعجبه من طيب الخلق البرد

وللشاعر قصيدة يحكي فيها غيرة أهل السّودان على زوجاتهم حيث يقول بلسان الزّوج:

لا تلبسي حلياً فيحلو قدره

لولاك لم تكن النّضار ثمينة

لاشان صدراً منك عقد جواهر

يزهو وأنت بزهوه تزرينـه

فعليك أحسد كلّ مخلوقٍ فـلا

يراك مخلوقٌ ولا ترينـه

حتى حسدت عليك عينك لاترى

في صفحة المرآة وجه الزّينة![1]

والقصيدة توضح إلتزام الشاعر بالخلق الإسلاميّ حتى في غيرته على زوجته، ويتأكّد لنا ذلك من الحوار التّالي:

قالت فكيف الورد قلت تلقّني

خلف الحجاب الورد واتّخذينه

قالت:فدرس العلم قلت لها:نعم

في البيت إذ يبدي السّرير رطينة

قال المهيمن قرن خوف تبرّجٍ

إنّ الصّواب الحق تستمعينه

بالله دعني ياحفيد ولاتلم

صبّاً يغار على فتاة العينـة

[1]/ العقود بين النّهود – الصّدّيق الأزهريّ – مطبعة الفجّالة الجديدة – القاهرة – ص٩٦

ما وقفنا على غزليّات للشاعر إلا في مقدمات قصائد المدح عنده شأنه في ذلك شأن القدماء، فللشاعر قصيدة كتبها عند زيارة الحفيد ابن عمر لمنطقة كتم بغرب السّودان قال فيها:

لما تحجّبت النّساء بخدرها
برزت عرائس فكرتي أبكارا
لتبثّ عن ذات الشعور شعورها
عن الحفيد وتذكر الأعذارا
إنّا احتجبنا يا حفيد بشرعكم
ويحق للفتيات أن تتوارى
يغري الفتى صوت الفتاة وبسمها
فلربّما خلع الحليم إزارا
قد حرّم المولى علينا جمعكم
لكن بوجه الحلّ لا إنكارا
إنّ النّساء جميعهنّ حبائلٌ
للشرّ فاجعل دونهنّ ستارا
هل مانعٌ لفتاتنا من وردكم
خلف الحجاب تلقّن الأذكارا؟
قال الحفيد طريقنا ميمونةٌ
تكسو المريد معزّةً وفخارا
لقّنتكنّ الورد غير مصافحٍ
أخشى إذا صافحتكنّ النّارا

وجعلت ستراً دونكنّ مخافةً

من نظرة قد تجلب الأخطارا

بشرى لأهل الورد قاطبةً فقد

جئنا لهم نسعى نشق غبارا[1]

ومن خلال هذه القصيدة نلمح قدرة الشّاعر على إيراد المواعظ والإرشادات في قالبٍ شعريّ.ولعل إلتزامه الدّينيّ هو ما جعله يبرز المرأة في زيّها الإسلاميّ وهي تخاطب الرّجال من وراء الحجاب.

هذه بعض النّماذج التي وقفنا عندها من شعر الغزل عند الصّدّيق الأزهريّ، فإنّنا لم نقف على قصائد كاملة عنده، إنّما تظهر غزليّاته في مقدّمات شعر المديح ، أو عند تناوله للأغراض الأخرى،وهو وإن لم يتناول الغزل كغرض أصيل إلا أنّ ما وجدناه في شعره يؤكد قوّة العاطفة الوجدانيّة عند الشاعر تجاه المرأة، ولعلّ التّربيّة الدّينيّة هي التي حالت دون أن يتناول الشّاعر الغزل كغرضٍ أصيل.

[1]/ المرجع السّابق – ص٧١

المبحث الخامس

الهجاء

الهجاء كالغزل عند الشّاعر قليل جداً ، حتى لا نكاد نلمحه إلا فى بعض المواقف التى يثور فيها غضباً للمولى عزّ وجلّ حينما تنتهك حرماته ، فهو لم يثبت عنه أنّه قد هجا أحداً إنتقاماً لنفسه ، إنّما كان شعر الهجاء عنده ثورة للحق ، ومحاربة للباطل . ومن هذه المواقف التى أنكرها الشّاعر إفتتاح مصنع (البيرة) بالخرطوم فى الخمسينات من القرن الماضي إبّان حكم الرّاحل إبراهيم عبود . وتأتي مناسبة القصيدة أنّه عندما كان الشّاعر يسير فى الطّريق عند مدخل الخرطوم بحري بالقرب من مقر النقل الميكانيكى(سابقاً) شاهد لافتة كبيرة من لافتات الإعلان رسمت عليها صورة جمل محمولاً على عنق رجل ، وبجانبه زجاجة (البيرة) فوقف عندها الشاعر متعجّباً متألّماً وقال :

قلبي أليمٌ جريحٌ والحشا اتّقدت

ناراً وساء ضميري مصنع البيرة

وكدّر الصفو إعلانٌ به رسموا

رأي العيان بعيراً عطّلوا عيره

وساءنى بشرٌ تحت البعير ثوى

بصورة تورث الأعصاب تخديرة

وفوق هامته خفّ البعير علت

فصار يهدر فوق الرأس تهديرة

كانوا على ظهره يقضون حاجتهم

ويحملون عليه الماء والميرة

فأهملوه وألقوا فوق غاربه

زمامه ، واكتفوا منه بتصويره[1]

فهو يتألّم لما آل إليه حال البلاد والعباد ، وكيف أنّ حمى الإسلام قد أستبيحت ، فصوّر ذلك تصويراً رائعاً فى طبعٍ سليم فجاءت كلماته سهلةً منقادة من غير تكلّف ، تعبّر عمّا يجيش فى داخله متعجباً من هؤلاء القوم الذين جهلوا أو تجاهلوا فوائد سفينة الصّحراء حيث كان النّاس يقضون حاجاتهم به ، أمّا اليوم فها هم يكتفون بتصويره فى صور الإعلان فقط . ثم يواصل الشاعر القصيدة ويهجو أولئك الذين سوّلت لهم أنفسهم إنشاء هذا المصنع قائلاً :

فساءنا مصنعٌ للخمر قام به

مواطنونا ولم يرعوا إلى الجيرة

لم يحفظوا حرمة الدّين الحنيف ولا

حقاً إلى الشعب بل زادوه تخسيرا

فنحن شعبٌ أبىّ مؤمنٌ ورعٌ

نأبى بفطرتنا خمراً وتقطيرة

فخاننا البعض من أبناء ملّتنا

---

[1]/ الأزهريّات - مرجع سابق - ص ٧١ .

فعمّروا خربات الفحش تعميرة

فآسفونا ، أساؤنا بمصنعهم

جاءوا بفاحشة كبرى وتقصيرة

أكابر القوم إجراماً بنا مكروا

كبّار مكر فلا نسطيع تغييره

وهم بنونا من أبناء جلدتنا

أصولهم عربٌ من خيرة الخيرة

فالنّار ما ولدت إلا الرّماد وهل

يغني الرّماد سوى ويكاب أنجيرة[1]

يأسى الشّاعر لهؤلاء القوم الذين هم من ملّة الإسلام إلا أنّهم لم يرعوا للإسلام حقه. بل أجرموا فى حق الشعب بإنشائهم لهذا المصنع ، وهو يتحسّر على أنّه لايستطيع فعل شئ فى مواجهتهم فهم (أكابر القوم) وهم عربٌ وأصولهم عربية غير أنّ (النّار تلد الرماد) فالشاعر لم يتخلّ عن أسلوبه السّهل الممتع ، وطريقته السلسة فى السّرد وإيصال المعلومة ، وإستخدامه للأمثال السودانيّة (النّار تلد الرماد) . ثم يواصل الشّاعر بنفس روحه المرحة ذاكراً انّه لا فائدة من الرّماد سوى استخدامه فى صنع (الويكاب) هذا الطعام الشعبيّ. وهكذا تسير القصيدة ، والتى فصّل الشاعر فى ختام أبياتها الأحكام الشّرعية لكل من كانت له صلة بهذه الخمر ، وأنّ لعنة الله تحيق بشاربها وصانعها ، ومن أعان عليها فيقول :

[1]/ الويكاب: طعام شعبيّ يصنع من اللبن، ويدخل الرّماد في صنعه.الإنجيرة: الخبز الخشن وتصنع من الذّرة.

وأنت حرّمت شرب الخمر ، صنعتها

والبيع حذّرت منها شرّ تحذيره

وهم تعاموا ، تغابوا ، ضلّةً سفهاً

وغيّروا سائر الأوضاع تغييره

فشارب الخمر ملعونٌ وبائعها

وحاملوها ومن أدلى بتأشيره

ولعنة الله عمّت من يعاونهم

محضراً لقزاز الخمر تحضيرة

كادوا فكد ، مكروا فامكر بمصنعهم

متبّراً ما علوا فى الأرض تتبيرا

ذكر الشّاعر الاحكام الشّرعية المترتبة على شرب الخمر وبيعها ، ثم ذكر حال أولئك الذين قاموا بإنشاء المصنع ، وأنهم تعاموا عن هذه الاحكام ، ولم يقفوا عندها ، ثم ذكر أنّ لعنة الله على كل من تعامل فى الخمر بالشّرب أو البيع أو المساهمة فى إنتاجها بأى وسيلة فى إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه)[1] ثم لمّا أوضح هذه الأحكام ، قام ودعا على أولئك القوم راجياً من المولى العليّ القدير أن يمكر بما مكروا ، فى تسلسل رائع هو أسلوب العلماء والخطباء فى إيصال المعلومة.

١/ سنن أبى داود - الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى - ج ٤ - دار الحديث - حمص - سوريا- ص٨٢

لم يثبت عندنا أن قام الشاعر بهجاء الأفراد من النّاس إنتقاماً لنفسه ، إنّما الهجاء عنده دائماً ما يكون في القضايا العامّة، فها هو يهجو من خالفه في الرأى الفقهىّ فيقول:

وكرهت قوماً بدّلوا في دينهم

وتظاهروا بالظّلم والطّغيان

حادوا عن الإجماع وابتدعوا وهم

ينهون عن بدع بني الإنسان

قال النّبيّ عليك بالإجماع لا

تخرج. فهم خرجوا خروج الجاني

قالوا:نصرنا المصطفى وحديثه

بالجهل دون طريقة العرفان

من أجل ذلك قد كرهت جموعهم

وهجوت ما اجترحوا من العدوان[1]

هذه نماذج من شعر الهجاء عنده ، لا تبعد عن الرّوح الصوفي لدى الشّاعر ، ولا تخرج عن أسلوبه السّلس ،وسخريّته اللاذعة، ونجده دائماً ما يتناول القضايا العامّة في هجائه، فهو لايهجو شخصاً بعينه، مما يجعل لهجائه قوّةً ومعنى. وهو مع ذلك واصل فى إشاراته وتضميناته لمعاني القرآن الكريم والحديث الشريف .

[1]/ العقود بين النّهود – الصّدّيق الأزهريّ -مطبعة الفجّالة - القاهرة – ص١١٩

حاول الباحث من خلال هذا الفصل التطرق لأهم الأغراض الشعريّة التى تناولها الشّاعر ، فكان أكثر هذه الأغراض عنده المدح والشعر الصوفيّ والإخوانيات ممّا يدلّ على روح الشاعر المرحة ، وتمتّعه بالعلاقات الإجتماعيّة الواسعة ، الشئ الذى يجعله مقبولاً عند الناس مما يسهل من مهمته كداعية إسلاميّ ، ومصلح إجتماعيّ ، وأقل أغراض الشّعر عنده الغزل والهجاء ، فلا نكاد نلمح شعر الغزل عند الشاعر إلا فى مقدمات المديح ، مجارياً فى ذلك الشعراء الجاهليين ، أمّا الهجاء فإنّه يكاد يكون معدوماً إلا عندما يكون ثائراً على أمرٍ قد أنكره الشرع كإنشاء مصنع البيرة مثلاً ولعلّ تربية الشّاعر الدّينيّة ، وخلقه ، قد ضربا عليه سياجاً من الوقار حال دونه وتناول هذه الأغراض فى شعره .

الفصل الثالث

أهمّ القضايا والأفكار

التي ركزّ عليها الشّاعر

الفصل الثالث

أهمَّ القضايا والأفكار التي ركزّ عليها الشّاعر

المبحث الأوّل

القضايا الفقهيّة

معظم الخلافات الفقهيّة التي عاشها الشّاعر كانت مع جماعة أنصار السّنة المحمدية حتى أنّه جمع معظم هذه القضايا في سفرٍ واحدٍ أسماه القنبلة الذّريّة، تناول فيه الشّاعر العديد من القضايا والأفكار التي يخالف فيها الصّوفيّة جماعة أنصار السّنة، ونحن نحاول من خلال هذا المبحث التّطرق لهذه القضايا ، و لا نهدف من خلال هذا المبحث لترجيح موقفٍ على الآخر بقدر ما يهمّنا في المقام الأوّل أن نستعرض قدرة الشّاعر و أسلوبه في عرض قضيّته و إستدلاله على حججه ، وهو لا يعدو الأسلوب نفسه الذي إنتهجه الشّاعر في جلّ قصائده وهو رجوعه الدائم للآيات القرآنيّة و السّنة المطهرة في أسلوبٍ لا يخلو من الدّعابة و السخريّة في بعض الأحيان .

المطلب الأوّل :

التّوسل بالأنبياء والصّالحين :-

قضيّة التّوسل بالأنبياء والصّالحين من أميز القضايا التي يخالف فيها الصّوفيّة جماعة أنصار السّنة،لذلك نجد أنّ الشّاعر قد أولاها إهتماماً كبيراً ، وحاول إثبات صحّة التّوسل بشتى السّبل حيث يقول:

إلى أنفسكم أشكو لكي تلعنونها

وأشكو إليه إن لم تتوبوا يبدّدوا

ولو شاء يهدينا ويهدي جموعكم

إلى فئة الإجماع كي تقلّـدوا

يحقّ لكم أن تلعنوا كلّ مارقٍ

على الدّين واهٍ والنّصوص تؤيد

تقولون أين النّص هل صحّ عندكم

على زعمكم نصٌّ وهل صحّ مسند ؟

وكلّ رواة الحديث توسّلوا

يقولون يا طّه أغث يامحمّـد

وذلك شركٌ عندكم حيث قلتموا

فمن قال ياطّه كمن هو يجحـد

إذاً كلّ أهل الدّين في الأرض ملحدٌ

فبالله أين الدّين في الأرض يوجد ؟ [1]

[1] القنبلة الذّريّة –الصّدّيق عمر الأزهريّ – ط٢ -١٣٧٢ه – ١٩٥٣م –المكتبة الأهليّة – واد مدني- ص١٠

تظهر أنفاس الشّاعر الملتهبة وهو يخاطب أنصار السّنة في أسلوبٍ هجائِي،وذلك لاستنكاره، ورفضه فكرة عدم جواز التّوسل ، لذلك نجده يستشهد ببعض الأحداث التي جرت في صدر الإسلام فيقول:

وكم من صحابيٍّ شكا لنبيّه
أموراً فأشكاه فأصبح يحمد
فلو أشركوا ماكان يرضيه شركهم
وما كان يرضيه سوى أن يوحدوا
شفى عين كرّارٍ بتفلٍ مباركٍ
وردّ التي سالت فلم تك ترمد
فيا هل ترى كان الرسول مبلّغاً
فقط أم طبيبٌ للجسوم ومرشد ؟[1]

يعود الشاعر لأسلوب الإشارات ويوضح أنّ العديد من الصّحابة قد جاءوا للرّسول صلّى الله عليه و سلّم يشكون آلاماً فشفاهم (عليه أفضل الصلوات و أتمّ التّسليم) ، فقد شفى عين عليٍ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) كما ردّ عين قتادة تلك التي وقعت على وجنته . فعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال يوم خيبر : (لأعطينّ هذه الرّاية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله . قال : فبات النّاس يدوكون (يذكرون) ليلتهم أيُّهم يعطاها ، فلمّا أصبح النّاس غدوا على رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) كلّهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين عليٌّ بن

[1] القنبلة الدّريّة – مرجع سابق – ص١٣

أبي طالب ؟ فقيل : هو يارسول الله يشتكي عينيه ، قال فأرسلوا إليه ، فأتي به فبصق رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجعٌ فأعطاه الرّاية)[1]

أمّا قصّة قتادة فقد أوردها إبن هشام في سيرته حيث قال :قال ابن إسحق:(حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) رمى عن قوسه حتى إندقت سيتها[2] فأخذها قتادة بن النّعمان حتى وقعت على وجنته .قال إبن إسحق : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ردّها بيده فكانت أحسن عينيه و أحدّهما)[3] .

و يواصل الشّاعر في طرحه معدداً الحجج و البراهين على صدق دعواه ، فبعد أن أوضح أدلّته على صحة التّوسل بالنّبي (صلّى الله عليه و سلّم) فها هو يؤكّد صحة التّوسل بالصّالحين جميعاً مشيراً إلى أنّ المولى عزَّ وجل يجري الخوارق على من يشاء وكعادته دائماً فإنّه يستشهد بالآيات والأحاديث و الآثار فيقول :

و أهل طريق الحق نحن نحبّهم
محبة أباء وأنتم لهم عدوٌ
وليس لهم ذنبٌ سوى أنّ ربّهم
على يدهم خرق العوائد يوجد
فيعطون أولاداً ويحيون ميتاً
لهم كيف شاءوا و الإله له يد

---

[1] / صحيح البخاريّ – ج٣-ص٣٧
[2] / السيّة:طرف القوس
[3] / السّيرة النّبويّة - إبن هشام- دار إحياء التّراث العربيّ- بيروت – لبنان – ج٣- ط١- ١٩٩٤- ١٤١٥

كجبريل أعطى مريم روح ربّها

وناهيك عجل السامريّ المفسد

جمادٌ فأحيته أنامل كافـرٍ

إليه خوارٌ فالجواميس سجّد

وإن شئت قل أحيته قبضة تربةٍ

لتعلم إنّ التّرب يحي و يوجد

وإن شئت قل أحياه حافر دابةٍ

لجبريل أو جبريل لا تترددوا

فكلٌّ بإذن الله و الله قـادرٌ

على كلّ شيءٍ صدّقوا لاتعاندوا[١]

تحـدّث الشّـاعر فـي أسـلوبٍ تهكّمـيٍ عـن الخـلاف القـائم بـين الصّـوفيّة وأنصـار السّنة، وقد عرف الصّوفيّة بولعهم بالكرامات، والقول بها ، وتصديقها، والشّاعر هنا أشار لبعض الخوارق التي تحدّث عنها القرآن. يقول تعالى: (قال إنّما أنا رسول ربّك لأهب لك غلاماً ذكيّاً.)[٢]

كما يشير لقصّة السّامريّ في قوله تعالى: (قال فما خطبك ياسامريّ . قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرّسول فنبذتها وكذلك سوّلت لي نفسي)[٣] (٧) ولعلّ الشاعر يعتقد بجري الخوارق على أيدي الكفّار بفضل الصّالحين(جمادٌ فأحيته أنامل كافرٍ)

لذلك قال الشاعر جمادٌ أحيته أنامل كافرٍ أو قبضة تربة أو حافر دابة.

ثم يعود الشّاعر ليؤكد أنّ كلّ ذلك قد حدث بإذن الله سبحانه وتعالى :

١/ القنبلة الذّريّة – مرجع سابق – ص١٤

٢/ سورة مريم – آية ١٩

٣/ سورة طه – الآيتان ٩٥-٩٦

أأنتم قسّمتم رحمة الله ، أم لكم

مع الله شركٌ ، أم بذلك تحسدوا

فربّك يقضي والعباد مظاهرٌ

كتخت به ظلّ التّصاوير موجد

فيوماً بأيدي الصّالحين لبينت

ويوماً نوافيها يباشرها عدو

يحق لمثلي أن يطول لسانه

عليكم ويهزو جهده وينـدد [١]

قد عُرف الشّاعر بروحه المرحة،إلا أنّه ساخرٌ ،لاذعٌ، في بعض الأحيان، يمازج في أسلوبه بين المنطق والتّهكم، ويبدو ذلك واضحاً في معظم ردوده على جماعة أنصار السّنة إن لم يكن في كل الردود.

المطلب الثاني:

رفع الأكف بالدّعاء عند العزاء :-

يتناول الشّاعر قضيّة أخرى وهي رفع الأكفّ بالدّعاء عند المآتم ، وفي ذلك يقول : (رفع الأكفّ بالدّعاء جائزٌ في أيّ وقتٍ كان وقد جرت عادة السودان برفع الأكفّ بالدّعاء في المآتم قديماً وحديثاً فإنّهم يترحمّون ثمّ يعزّون المصاب ، والتّرحم دعاء وعزاء فمن دعوت لميّته بالرّحمة فقد عزّيته وزدت ، وأظهرت رقةً في قلبك ، وعطفاً على المرحوم ، والشّارع لا يمنعك أن تدعو وترفع يديك بالدّعاء قبل العزاء وبعده .)[٢]

---

[١]/ القنبلة الذّريّة –مرجع سابق – ص١٥

[٢]/ القنبلة الذّريّة – مرجع سابق – ص١٧

ثمّ يدلف مباشرة للموضوع ، ويناقشه بطريقته المعهوده ، طريقة الإشارات ، فيقول :

حجرتم على الدّاعين رفع أكفّهم
لدى مأتمٍ والشّرع ليس يفند
يجوز لنا رفع الأكفّ بدعوةٍ
لدى مأتمٍ أو غيره حيث يوجد
وكيف نفيتم رفع طه أكفّه
وذلك من شمس الظهيرة أوكد
وكم ظهرت إبطاه عند دعائه
إلى أن بدت أنوارها تتوقّد
وما جاز في أمرٍ يجوز بمثله
ورحمتنا الموتى عزاءٌ وأزيد
وإن قيل لم يرفع فقل هو ساكتٌ
وكلّ سكوتٍ رحمةٌ وتودّد
وكلّ رجال الدّين في القطر رافعٌ
لكفّيه في كلّ المآتم تعقد
قديماً حديثاً ليس ينكر بعضهم
على بعضهم في رفعه أو يفنّد
وذلك إجماعٌ على فعل قادةٍ
أقول سكوتي ولا أتردّد[1]

[1]/ القنبلة الذّريّة – مرجع سابق – ص١٧

لم يثبت الشّاعر في طرحه جواز رفع الأكفّ بالدّعاء عند العزاء من خلال الكتاب أو السّنة، إنّما ذهب لإثبات صحة رفع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليديه عند الدّعاء، ولاأحسب أنّ في ذلك خلافاً، غير أنّ الشّاعر استخدم ذكاءه ليؤكد أنّ ماجاز في شئٍ يجوز في غيره، ثمّ أشار للمسكوت عنه

فعن أبي ثعلبة الخُشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه : عن رسول الله (صلى الله عليه وسلَّم) : (أنّ الله تعالى فرض فرائض فلا تضيّعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرمّ أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها).[1] وقد إعتبر الشّاعر السّكوت هو إجماعٌ من الأمّة على جواز الفعل وأسماه (بالإجماع السّكوتي) وهذا اللفظ أصبح مصطلحاً في السّياسة السّودانيّة مؤخراً.

وقد إتّسم أسلوبه بالبساطة ،وعدم التّكلّف، والسّخريّة في بعض الأحيان.

[1]/ صحيح البخاريّ – مرجع سابق –ج٤ – ص٧٤

المطلب الثالث :

الذّكر بالطّبول :-

نناقش من خلال هذا المطلب قضيّة خلافيّة أخرى تطّرق لها الشّاعر في معرض ردّه على أنصار السنّة

ألا وهي قضيّة (الذّكر بالنّوبة)

فماذا قال الشاعر في هذا الصدد؟

ونعمت طبول العزّ للذّكر بدعةٌ

تنبّه قوماً غافلين ليرشـدوا

أقلّ قليل يذكرون إلـههم

يهلله بعضٌ وبعضٌ يمجّـد

جزى الله عنّا الأقدمين جزاءه

كما ابتدعوا للنّاس حسناً وجدّدوا

كما ابتدع الصّحب الكرام مسائلاً

وأشياء في جوف الدّفاتر توجد

وهم يقرءون (اليوم أكملت) بعد ذا

يزيدون أمراً في الشريعة يحمد

نـهى المصطفى جمع التّراويح فانتهوا

وهذا أبو حفصٍ لها النّاس يحشد

وأعجبه حتى تبجّح قائلاً

أرى بدعتي راجت فمولاي أحمد

وزاد حدود الخمر حتى تكاملت

يؤذّن في الزوراء أشهد أشهد

وقد نقلوها للمنابر كلّهم وكلّنا

نقلّده في جمعة حين تعقد[١]

بدأ الشّاعر في خلافه مع أنصار السّنة بسرد الوقائع، والإستدلال بالقرآن الكريم، والسّنة المطهّرة، وربّما عمد للقياس في بعض الأحيان.إلا أنّه هنا يقرّ ويعترف ببدعيّة الذّكر بالطّبول،بيد أنّه يستحسن هذه البدعة، ويجد لها سنداً بأمورٍ فعلها الصّحابة لم يكن معمولٌ بها في زمان الوحي، رغم علمهم باكتمال الدّين في إشارة لقوله تعالى: (... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ...).[٢] ويستدلّ على ذلك بجمع النّاس لصلاة التّراويح في عهد الفاروق عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فعن عبد الرّحمن بن القارى أنّه قال:(خرجت مع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ليلةً في رمضان إلى المسجد فإذا النّاس أوزاعٌ متفرّقون يصلّي الرّجل لنفسه ، ويصلّي الرّجل فيصلّي بصلاته الرّهط ، فقال عمر : إنّي أرى لو جمعت هؤلاء على قارئٍ واحدٍ لكان أمثل ، ثمّ عزم فجمعهم على أبي بن كعب . ثمّ خرجت معه ليلةً أخرى والنّاس يصلّون بصلاة قارئهم . قال عمر : نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل وكان النّاس يقومون أوّله).[٣]

ثمّ زيادة حدّ الخمر لثمانين فعن أنس بن مالك : (أنّ النّبيّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) أتى برجلٍ قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين . قال وفعله

---

[١]/ القنبلة الذّريّة- مرجع سابق – ص٢٠

[٢]/ سورة المائدة – آية ٣

[٣] صحيح البخاريّ – مرجع سابق – ج١ – ص٢٤١

أبوبكر فلمّا كان عمر إستشار النّاس ، فقال عبد الرّحمن أخفّ الحدود ثمانين فأمر به عمر.)[1] وكما إبتدع سيدنا عمر (رضي الله عنه) فكذلك إبتدع سيدنا عثمان بن عفّان (رضي الله عنه) ، حيث زاد الأذّان الثالث يوم الجمعة . فعن السّائب بن يزيد قال : (كان النّداء يوم الجمعة إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) ، وأبي بكر ، وعمر (رضي الله عنهما) ، فلمّا كان عثمان (رضي الله عنه) وكثر النّاس زاد النّداء الثّالث على الزّوراء).[2]

وهنا نلمح أيضاً فطنة الشّاعر في توضيح وجهة نظره، ومقدرته على الإقناع، بأسلوبٍ بسيط بعيداً عن التّكلف،أمّا إشاراته للقرآن والسّنة فقد باتت سمة ملازمة لمعظم أشعاره.

هكذا عرض الشاعر قضيّته مع أنصار السنة ، حيث ناقش من خلال ديوانه القنبلة الذريّة العديد من القضايا الخلافيّة ، إستخدم في ذلك أسلوبه البسيط، وإشاراته لمعاني القرآن الكريم ، والسّنة النبويّة الشريفة، ولم يخل أسلوبه من السخريّة في بعض الأحيان ، ولعلّ هذه الخصائص هي من أميز الخصائص الفنيّة التي إمتاز بها شعره .

---

[1]/ صحيح مسلم – الإمام أبو الحسين مسلم بن العجاج – رئاسة إدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربيّة السّعوديّة - ١٤٠٠ه – ١٩٨٠م –ج٣ – ص١٣٣٠

[2]/ صحيح البخاريّ – مرجع سابق – ج١ – ص١١٦

المطلب الرّابع :

ثبوت رؤيّة هلال رمضان:-

وهب الشّاعر جلّ وقته لتعليم النّاس أمور دينهم ، وقد تناول العديد من العادات والتّقاليد التي تتعارض وشرع الله الحنيف ، ومن هذه القضايا قضيّة بالغة الأهميّة ، تفشّت في معظم مناطق السّودان خاصّة غرب السّودان ، ألا وهي تمسّك بعض المسلمين برؤيّة هلال رمضان بأعينهم ، دون إعتبارٍ للفتاوي التي تصدرها الدّولة ، وهم بذلك ربما تأخّروا عن الصّوم يوماً أو يومين ، ثمّ لا يفطرون حين يفطر المسلمون ، وبذلك يكونون قد خالفوا العديد من قواعد الشّرع، خالفوا إجماع الأمّة وقد أمروا به ، كما أنّهم يصومون يوم العيد ، وهو محرّمٌ عليهم صيامه

تعرّض الشّاعر لهذه القضيّة الخطيرة عند زيارته لمدينة الجنينة بغرب السّودان ، حيث كان مرافقاً للحفيد إبن عمر – أحد زعماء الطّريقة التجانيّة في زيارته للسّودان – فوجدهم لا يصومون مع المسلمين ، ولا يفطرون معهم ، فحاول معالجة هذا الوضع الشّاذ قائلاً :

أحببت أبناء الطريق ووردهم
حتى هجرت لأجلهم أوطاني
وتبعت في ذات الإله حفيدهم
حتى دخلت جنينة الرّضوان
فإذا بأهل الدّار يفطر بعضهم
متعهداً يومين من رمضان
لكنّهم متأوّلون وإنّما
تأويلهم والحق مفترقان

يجب القضاء به وتلزم أهله

كفارةٌ فوراً بغير توان

سمعوا الحديث وما دروا تأويله

وتلاعبوا بظواهر القرآن

جعلوا الشّهادة وهي كونك حاضراً

هي رؤية لهلاله بعيان

والمسلمون يرونه وقضاتهم

ترضى إذا ما جاءهم عدلان

ولكلّ دهرٍ من بنيه عدالة

نسبيّة بمواقع البلدان

ما ذلكم خلق الجنينة وحدها

بل في جميع أماكن السّودان

قالوا لرؤيته نصوم . وأفطروا

من بعدها جهلاً بلا إمعان

قالوا لرؤيته نصوم وأفطروا

بعد الثّبوت بواضح البرهان[١]

ما زال الشّاعر متأثّراً ببناء القصيدة التّقليديّ وبالمقدّمات التّقليديّة، إلا أنّه يلبسها ثوبه الخاص، وقد جاء أسلوب القصيدة على طريقة القصّة الخبريّة، حيث أنّه ألقى الخبر ثمّ علّق عليه، وقد أشار في تعليقه لشيءٍ هام وهو خطورة إعمال الرّأي في العبادات دون الرّجوع لأراء الفقهاء حيث قال:

سمعوا الحديث ومادروا تأويله

[١]/ العقود بين النّهود - الصّدّيق عمر الأزهريّ -مطبعة الفجّالة – القاهرة – مصر – ص١١٩

وتلاعبوا بظواهر القرآن

وهو في هذا البيت يشير لقوله تعالى:(فمن شهد منكم الشّهر فليصمه).[١] وقول الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم عن أبي هريرة رضي الله عنه : (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غُبِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين).[٢] وقد أولى الشّاعر هذه القضيّة إهتماماً كبيرا، وظلّ يأتي بالحجج والبراهين. ولمّا كانت هذه القضيّة ذات أبعاد فقهيّة فقد تعدّت إشاراته الكتاب والسّنة لتشمل آراء الفقهاء أيضاً وذلك في قوله:

قالوا معاوية يصوم وغيره

ما صام قلت تريّثوا إخواني

وهو بذلك يومئ لما أورده الشوكاني في كتابه نيل الأوطار حيث قال : (عن كريّب أنّ أمّ الفضل بعثته إلى معاوية بالشّام فقال : فقدمت من الشّام فقضيت حاجتها واستهلّ عليّ رمضان وأنا بالشّام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمت المدينة في آخر الشّهر فسألني عبد الله بن عبّاس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال ؟ فقلت : رأيناه ليلة الجمعة فقال : أنت رأيته ؟ فقلت : نعم ، ورآه النّاس وصاموا ، وصام معاوية . فقال : لكنّا رأيناه ليلة السّبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه . فقلت : ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم) .[٣] فهذا رأي من قال بالفطر، ولكن يستدرك الشّاعر ويقول:

الأصبحيّ أحقّ منّا خبرة

وأدقّ في نظرٍ وفي إمعان[٤]

١/ سورة البقرة – آية ١٨٥

٢/ صحيح البخاريّ – مرجع سابق – ج١ – ص٢٣١

٣/ نيل الأوطار – محمّد بن عليّ بن محمّد الشّوكانيّ – ج٤ – دار الجيل بيروت – ١٩٧٣ – ص٢٦٧

٤/ الأصبحيّ: لقبٌ للإمام مالك نسبة إلى أصبح بالفتح قبيلة من يعرب بن يشحب بن قحطان (أنظر في ذلك أوجز المسالك إلى موطأ مالك)

وهو الإمام وكلّنا تبعٌ له

لم يغترر بمطالع البلدان

الدّين قطرٌ عنده أو مطلعٌ

أوما رأيت عبارة الشّوكانيّ؟

وهو بذلك يشير لقول الشّوكانيّ: (والذي ينبغي إعتماده هو ما ذهب إليه المالكيّة ، وجماعة من الزيديّة ، واختاره المهديّ منهم وحكاه القرطبيّ عن شيوخه ، أنّه إذا رآه أهل بلدٍ لزم أهل البلاد كلّها).[1]

ثمّ جعل يتهكّم ويعرّض بأهل الجنينة، ومن شايعهم، إلا أنّه وحتى في تهكّمه لم يتخلّ عن أسلوب الإشارات فيقول

طاوعت أقوال القضاة وحكمهم

هم أولياء الأمر أهل الشأن

أنا سالمٌ قلّدت حبراً عالماً

وسواي قلّد فتنة الشّيطان

فأباحهم يومين من رمضانهم

واضطّرهم في العيد للحرمان

صاموه وهو محرّمٌ في شرعهم

واستعملوا جدلاً وطول لسان

وهو يشير في البيت الأخير لما أورده إبن شهاب عن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال : شهدت العيد مع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال : (هذان يومان نهى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) عن صيامهما ، يوم فطركم من صيامكم ، واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم).[2]

---

[1]/ نيل الأوطار – مرجع سابق - ص٢٦٩

[2]/ صحيح البخاريّ – مرجع سابق – ج١ – ص٢٤٠

ورغم هذا التّعريض إلا أنّه عاد ودعا لهم بخيرٍ، وذلك لفطرته السّليمة، ونفسه المحبّة للخير

مولاي جمع الشّمل أرجو آملاً

تحبو الجميع بواسع الغفران

وأدم صلاتك للنبيّ مسلّماً

واختم لنا بالخير والرضوان

المبحث الثاني
القضايا الإجتماعيّة

تطّرق الشّاعر لبعض العادات الضّارة في المجتمع السودانيّ ، وحاول معالجتها من خلال شعره ، كما تناول بعض المعتقدات الخاطئة التي تتعارض والدّين الإسلامي الحنيف والتي ما أنزل الله بها من سلطان . وحريٌّ بنا أن نشير إلى أنّ معالجات الشّاعر لهذه العادات المضّرة جاءت من وجهة نظر دينيّة ، فهو لا ينكر إلا ما أنكره الشرع .

المطلب الاول :

التّطيّر والتّشاؤم :

من القضايا الإجتماعيّة التي عالجها الشّاعر مسألة التّطير والتّشاؤم والتي أصبحت بعض سمات المجتمع السودانيّ، إذ أنّ هنالك بعض القبائل مازالت إلى يومنا هذا تهتم بهذا الأمر خاصّة كبار السنّ منهم . وقد تناول الشاعر هذه القضيّة من خلال قصيدته (المعلقة الفكاهيّة الأدبيّة السموأليّة) والتي يجاري فيها جميل بثينة والتي يقول في مقدمتها:

ألا ليت أيّام الصّفاء جديد

ودهراً تولى يابثين يعود

وتدور فكرة القصيدة في شكل حوارٍ بينه وبين ابنته التي تمثّل المجتمع في اعتقادها ، ووالدها يصوّبها ويرشدها إلى الحق في أسلوبٍ تعليميّ فهو يقول :

لك الحمد ربّي والصّلاة على النّبيّ

سلاماً به حبّ الحصيد مكيل

يدومان ما (أم بشّار) طار سحابها

بأفقٍ وما البرق اللّموع ولول[1]

ألا ليت مزناً للرّبيع هطولٌ

وسحب خريفٍ يابثين ظليل[2]

وبعد هذه المقدمة يدلف الشّاعر مباشرةً إلى الحوار مع إبنته التي تتعجّب من سعيه وراء الرّزق برغم أنّ المولى عزّ وجلّ قد تكفّل به ، فيجيبها إجابة العالم أنّ سعي الفتى للرّزق سببٌ في الحصول عليه .

تقول ابنتي : مالى رأيتك جاهداً

حريصاً على الأرزاق وهو كفيل

فقلت لها : الأرزاق قِدْماً تقسمت

وسعي الفتى منها أأنت جهول ؟

ثم توبّخه بأنّ ثيابه رثّة وتدعوه للإهتمام بمظهره ، وهو يدعوها للعناية بالجوهر

فقالت : أرى أيضا ثيابك رثّةً

قصاراً وثوب الأكثرين طويل

فقلت لها : قال السموأل حكمةً

وقولاً جليلاً ما إليه مثيل

إذا المرء لم يلعب دشيشاً وطاولةً

فكلّ رداءٍ يرتديه جميل

وهنا تظهر نفس الشّاعر المرحة وهو يقتبس قول السّموأل :

---

[1]/ أم بشّار: هي أول سحب الخريف التي تبشّر بالمطر

[2]/ الأزهريّات - الصّدّيق الأزهريّ – ج١ -تحت الطّبع– ص ٤٨

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه

فكل رداءٍ يرتديه جميل[1]

ثمّ يحمّله معانيه التي أرادها للنّهي عن لعب الطّاولة.

ويواصل الشّاعر حواره مع إبنته فيقول :

فقالت : أرى يسراك فيها حديدةٌ

ويمناك بالعود الحنيف ثقيل

فقلت لها : قد قال أيضاً وإنّني

شغوفٌ بقول المصلحين شغول

إذا لم تكن سلّوكتي وملودتي

فليس إلى الذّكر الجميل سبيل[2]

فقالت : أرى نكّستها جهة السما

منعت على النّاس السّحاب يسيل

فقلت لها : هذا حديث خرافة

وما لملودٍ في السّحاب دخيل

إذا صوّبت أو نكّست لاتردّه

ولم يتأخّر للملود فتيل

بل الأمر كلّ الأمر لله وحده

إذ قال : كل ميكال فهو يكيل

---

[1] / السموأل هو : السموأل بن عاديا ، أحد شعراء العصر الجاهلي . جواهر الأدب – السيد أحمد الهاشمي – ج ١ – ص ٥٠٦

[2] / السلّوكة والملودة أو الملود من أدوات الزّراعة التّقليديّة بالسّودان . الأوّل عودٌ من الخشب له رأسٌ حادة تُحفر به الأرض لتُرمى فيها البذور، والثّانيّة لإزالة الحشائش الطّفيليّة.

- هذا وقد ورد هذا البيت على النحو التالي :

إذا لم تكن سلوكتي وملودتي معي

فليس إلى الذكر الجميل سبيل

وقد قمنا بحذف (معي) حتى يستقيم الوزن

لعلّ الشّاعر يرشد المجتمع إلى ضرورة هامّة ألا وهي السّعي في طلب الرّزق مؤكداً ألا رهبانيّة في الإسلام، داعياً في ذات الإطار للنهج النّبويّ الدّاعي لعدم الإعتقاد الخاطئ ولعلّه يشير ضمناً لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم): (لاعدوى ولا طيرة ولاهامة ولا صفر).[1]

ثمّ يدعو الشّاعر إلى ضرورة الجدّ والإجتهاد في طلب الرّزق ويدعو للإنفاق فيقول :

ومن لم يشمّر في الخريف ويرتدي
لفروته لاشك فهو كسول
فقالت : كثيراً ما زرعت ولم أجد
إليك ثراءاً ظاهراً فنقول
فقلت : يدٌ لا تمسك المال برهةً
من الدّهر إلاّ للعفاة تنيل
تعيرّني أنّي قليل دراهمٍ
فقلت لها : إنّ الكرام قليل
وإنّ الأديب الحرّ حرب زمانه
كما قال بعضٌ – تعلمين – نبيل
وما ضرّني أنّي فقيرٌ وجارتي
تعشّت وجار المكثرين يقيل

وهو دعا للإنفاق ليؤكّد على قيمته الدّينيّة، وضرورة التّمسّك به، كما يشير لحقوق الجار مستصحباً معنى حديث رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): (

[1]/ صحيح البخاريّ -محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ ط الأخيرة – ١٩٥٣ - مطبعة مصطفى اليابي - مصر – ص١٤

ياأباذر إذا طبخت مرقةً فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك).[1] أمّا الكرم فهو طبعٌ أصيلٌ في النّفس البشريّة لا علاقة له بكثرة المال أو قلّته

لاتنكري عطل الكريم من الغنى

فالسّيل حربٌ للمكان العالي

ولا شك أنّ أنفاس الشّاعر المرحة ، وروح الدّعابة عنده واضحة جليّة في معظم أبيات هذه القصيدة

إذا لم تكن سلّوكتي وملودتي

فليس إلى الذكر الجميل سبيل

كما أنّ في إستخدامه للألفاظ المحليّة مثل الفروة، والسّلّوكة والملود، وغيرها دليلاً على إرتباط الشّاعر ببيئته.

و يواصل الشّاعر تناوله لقضايا المجتمع ، فيحاول معالجة ما وقر في أذهان النّاس بتدخل الكواكب والنّجوم في الأقدار، وعنايتهم بالأبراج ، مؤكداً أنّ هذه الأجرام ما هي إلا من آيات الله لا شأن لها بتصريف الأمور ، ولا دخل للأبراج بما يجري للنّاس في حياتهم العامّة . فيقول في قصيدته نهر المجرّة في محاربة العوائد المضرة :

نهر المجرّة لا يرويك من ظمأٍ

مع إتّساعٍ وطولٍ بين واديها

مثل السّراب يخال النّاظرون به

ماءاً فيلقونه زيفاً وتمويها

[1]/ صحيح مسلم – مرجع سابق – ج٤ – ص٢٠٢٥

وهكذا الظنّ بالجوزاء أو زحلٍ

والمشترى ، وسهيلٍ ، خاب راميها

مالي وللشّمس والأبراج أرقبها

أقلّب الطّرف أنّى سار ساريها

لا نحس من كوكبٍ أخشى عواقبه

ولا سعادة من برجٍ أرجّيها

و لا الكواكب تشقيني وتسعدني

الله يسعد أقواماً ويشقيها[١]

نلاحظ إختلاف الأسلوب الخطابي لدى الشّاعر فلمّا كان الأمر متعلّقاً بعوام النّاس ،جاء خطابه بسيطاً، وقد أكثر فيه من إستخدام الألفاظ المحليّة،أمّا عندما تعلّق الأمر بالعلم،فقد إستخدم الشّاعر لغةً عالية ، رصينة ،لأنّ المخاطب في المقام الأوّل هم من تعلّموا هذا العلم، والشّاعر عندما نهى عن التّعلّق بالنّجوم، إنّما كان يعيش روح الحديث الشّريف الذي رواه إبن عبّاسٍ رضي الله عنه: عن النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال : (من اقتبس علماً من النّجوم إقتبس شعبةً من السّحر زاد ما زاد)[٢] فمن تعلّم شيئاً من علم النّجوم فكأنّما تعلّم سحراً ، وكلّما زاد فيه زاد السحر ، وهذا مذمومٌ إذا كان يفهم منه أنّ للنجوم تأثيراً في الكون كنجم كذا يجئ بالمطر ، وذلك يأتي بالرّياح ، وثالث يأتي بالقحط ، ورابع يأتي بالوباء ، ونحو ذلك . أمّا معرفة النّجوم للإهتداء بها إلى عظم الخالق جلّ شأنه ، أو إلى الأوقات، والقبلة ،والشّهور ،والحساب أو إلى جهة السّير فلا شئ في ذلك ، بل هي لهذا مطلوبة قال تعالى (وعلاماتٍ وبالنّجم هم يهتدون)[٣]

١/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص٧٦

٢/ التّاج الجامع للأصول – منصور علي ناصف – دار الفكر – بيروت – ١٩٨١ – ج٣ – ص٢٢٤

٣/ سورة النّحل – آية ١٦

المطلب الثاني :

تشبّه الرّجال بالنّساء :

تناول الشّاعر العديد من الظّواهر الإجتماعيّة السّالبة وحاول معالجتها ، وبعض هذه الظّواهر يعود للتّقاليد الموروثة مثل الطّيرة والّتشاؤم ، وبعضها الآخر يعود للتأثّر بالحضارات الغربيّة ، أو الظروف الإقتصاديّة وكلّ ذلك يدلّ على ضعف الإيمان لذلك تصدّى الشّاعر لمعالجة هذه القضايا وابتكر أساليب نحسب أنّه قد تفرّد بها. ومن هذه القضايا ظاهرة تشبّه الرّجال بالنّساء التي تفشّت وسط الشّباب بصورة مزعجة ، حاول الشّاعر معالجة هذه القضيّة بأسلوبٍ مبتكرٍ ، وهو أسلوب المحكمة لمعاقبة زيدٍ ذلك الذي تشبّه بهنّ وتحلى بحليتهنّ فجاء تناوله للموضوع تناولاً مقنعاً فلنتابع معاً هذه القضيّة :

تبثّ فتاة الحيّ شكوى مريرةً
وتحكم فيها حكمها وهو فيصل
تقول : الفتى زيدٌ تحلّى بحليتي
لمن يتحلّى أو لمن يتجمّل ؟
لأمثاله ؟ أم يا بثين لمثلنا ؟
على أي حالٍ ليس ذا منه يجمل
فنحن خلقنا ناقصاتٍ ، فنقصنا
جبرناه بالحنا وبالحلى يافلُ[1]
وحلية (زيدٍ) أن نراه مهذّباً

[1]/ يافل:يافلان للمخاطب وقد جاء مرخّماً للضرورة الشّعريّة
- وردت عند الشاعر (بالحناء) وقد قمنا بحذف الهمزة حتى يستقيم الوزن

له الأدب العالي به يترجّل

فما باله ينحطّ عن رتبة العُلا

إلى مستوى فيه الغزال المحجّل؟[1]

في هذه الأبيات لخّص الشّاعر القضيّة بإيراد قول الشاكي وهي فتاة الحيّ التي تتّهم زيداً بالتّعدّي على خصوصيّتها والتحلّي بحليّها ، ثم يواصل الشاعر في تلاوة خطبة الإدّعاء فيقول :

تختّم زيدٌ بالنّضار سفاهةً

وشاركني في حليتي كيف أفعلُ؟

أأجذبه نحوي فينصاع عطفه

كما لانت الأنثى لزوجٍ يقبّل ؟

فيا عجباً منه يصعّر خدّه

ويمرح في ميدان سلمى ويرفل

لهذا نزعنا حبّه من قلوبنا

فيا ليت أمّاً لم تلده وتحملُ

وفوراً نزعنا خاتماً من بنانه

فلا سلمت كفٌّ لزيدٍ و أنملُ

نزعناه منه حيث لا يستحقّه

فإن كان لا يرضيه فهو مغفّلُ

ويا عمرو إنّا قد كسوناك حبّنا

وإن كنت ذا شيبٍ لأنّك أفضل

---

[1] /الأزهريّات – مرجع سابق – ص٦٩

فلم تبخس القوم الكرام حقوقهم

ولم تتشبّه بالنّساء فتفشل

ولمّا فرغ الشاعر من صياغة خطبة الإتّهام ، كان لابدّ له أن يورد مرافعة الدّفاع عن زيدٍ حتى تكون المحاكمة عادلة فيقول:

يقول المحامي: زيدنا اليوم ناقصٌ

ومنصرفٌ عن كلّ خيرٍ يؤمّل

فهل تقبلوا عذري إليه وتشطبوا

قضيته ؟ فالحاكم العدل يمهل

جاءت مرافعة الدّفاع في شكل إسترحام ، ليؤكّد ثبوت الجريمة حتى من قبل الدّفاع! فماذا قالت المحكمة ؟

فقالت (بثينا) قد قبلناك شاهداً

فلست بحامٍ كيف عذرك يقبل ؟

حكمنا بجلد المعتدي وتأيّدت

حكومتنا والحكم ماضٍ مسجّل

ومحكمة التنفيذ في الفور نفّذت

يحق لهذا الحكم فوراً يعجّل

فيا (عمرو) قم واضرب لزيدٍ فإنّه

عليك علينا طالما كان يجهل

فزيدّ خفضناه لخسة عقله

وعمراً رفعنا فهو شهمٌ مبجّل

ومن بعد هذا فارفعوا (عمرو) وانصبوا

لزيدٍ جزاءً للذي كان يفعل

لمّا كانت قضيّة تشبّه الرّجال بالنّساء من القضايا الدّخيلة على المجتمع لتأثّر مجتمعاتنا المحافظة بالحضارة الغربيّة ، آثر الشّاعر عرض القضيّة في ثوبٍ جديدٍ يتناسب والأساليب الحضاريّة، ولاشك أنّ التّقاضي هو قمّة الحريّة،لذلك لم يشأ الشّاعر أن يعرض قضيّته في أسلوبٍ تقليديٍ يرتكز على الأمر ، والنّهي،إنّما لجأ لأسلوب المحكمة الحضاريّ المتقدّم، ومن خلاله إستطاع معالجة القضيّة ، وتناولها بكلّ أبعادها ، ملتزماً أسلوب الإشارات لمعاني القرآن الكريم ، والسّنة المطهّرة، كما في قوله

لك الحمد فضّلت الرّجال على النّسا

فلم يرض بعض القوم ما أنت تفعل

في إشارة لقوله تعالى:(الرّجال قوّامون على النّساء بما فضّل الله بعضهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهم)[١]

أمّا تشبّه الرّجال بالنّساء، والنّساء بالرّجال فقد نهى عنه الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم في حديث إبن عبّاسٍ رضي الله عنهما: (لعن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المتشبّهين من الرّجال بالنّساء، والمتشبّهات من النّساء بالرّجال).[٢]

كما توجد هناك إشارة لطيفة لأمثال النّحويين في باب الفاعل ، إذ كثيراً ما يمثّلون بجملة:ضرب زيدٌ عمرواً. وربّما أنّ هذا التّكرار لم يعجب الشّاعر لذلك جاء حكم المحكمة بخفض زيدٍ وهي تورية لطيفة إذ هو مخفوضٌ محلاً في قولها (أضرب لزيدٍ) وهذا هو المعنى القريب – غير المراد – كما أنّه مخفوضٌ مكانةً في قلوبهنّ لأنّه قد أتى فعلاً مشيناً – وهذا هو المعنى البعيد المراد .

١/ سورة النّساء – آية ٣٤

٢/ التّاج الجامع للأصول – مرجع سابق – ج٣ – ص٢٢٩

وكذلك قامت المحكمة برفع عمروٍ في مكانته عندهنّ فهو شهمٌ مبجّلٌ ، وهذا هو المعنى البعيد المراد – أمّا المعنى القريب فرفع عمرو إعراباً لأنّه أصبح فاعلاً في جملة ضرب عمروٌ زيداً .

ولذلك نجدها تقول في آخر أبيات النّطق بالحكم

وبعد هذا فارفعوا (عمرواً) وانصبوا

لزيدٍ ، جزاء للذي كان يفعل

وهي محاولة من الشاعر لمعالجة قضايا المجتمع من خلال الشعر القصصي في اسلوب حوارٍ شعريّ ولعله قد وفّق في ذلك.

المطلب الثالث :

تخفيف المهور:-

من القضايا الاجتماعيّة التي تناولها الشاعر قضيّة تخفيف المهور، وذلك تمكيناً للشّباب من الزّواج وإحصاناً لهم . فهو في القصيدة التي ألقاها بمناسبة إفتتاح زاوية المناصير بالجزيرة قد تطرّق لهذا الأمر قائلاً :

جزى الله سكّان المناصير كلّهم
فسبحانه من جامعٍ لشتات
شفى الله مرضاهم ووسّع رزقهم
وبارك في الزّوجات والعزبات
فما بالهم لو خفّفوا المهر واختلى
فتاهم – بوجه الحلّ – للفتيات
تعالوا لتخفيف المهور نقرّه
بعهدٍ وعهد الحرّ عهد ثقات
ألا حقق الله الظّنون وضمّنا
على الحق نرعاه كخير رعاة
نساعد أبنانا ونحفظ عرضنا
من القيل والبهتان والهفوات
ونبني بيوت الدّين حتى إذا استوت
جمعنا كرام النّاس للحفلات[1]

الدّين الإسلاميّ يدعو للعفاف والسّتر ، وقد استغلّ الشّاعر المناسبة لترسيخ هذه القيّم،كيف لا وهو داعية ظلّ يسخّر شعره لأمر الدّعوة، والدّفاع عن العقيدة،

[1]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص٦٣

ولمّا كانت المناسبة تتعلّق بافتتاح صرحٍ من الصّروح الدّينيّة فقد أراد الشّاعر أن يبلّغ رسالة أخرى وهي توجيه المجتمع لرسالة المساجد والزّوايا، وألا يتّخذها النّاس لأداء الصلوات فقط، إنّما هي دورٌ لتصريف أمور المجتمع الحياتيّة، ودعوته لتخفيف المهور إنّما تأكيدٌ لدور الزّاوية في تنشئة المجتمع تنشئةً صالحة بعيداً عن السّفور، وقد ألبس دعوته هذه ثوباً فنيّاً يتقبّله العقل، ويؤثّر في الوجدان، مع استخدامه أِسلوباً بسيطاً، بعيداً عن التّكلّف.

كما أننا نلحظ شيئاً آخر في تناوله للقضايا الإجتماعيّة وهو حرصه على ترسيخ مبدأ ألا رهبانيّة في الإسلام، لذلك يدعو لضرورة العمل والتّكسّب من عرق الجبين، وها هو ينأى بالمساجد والزّوايا من اتّخاذها دوراً للصلاة فقط، وهو وإن لم يفصح عن ذلك صراحةً، لكنّنا نلمحه من خلال دعوته للزّواج، وتخفيف المهور وكأنّي به يقول : إنّما رسالة الزّاوية النّظر في كلّ الشئون الإجتماعيّة.

هذه بعض القضايا الاجتماعيّة التي عالجها الشّاعر ، وهي لا تخرج من كونها عادات إجتماعيّة أصيلة في المجتمع السودانيّ ، حاول الشّاعر مجتهداً محاربتها بوصفه داعية إسلاميّ كما عالج ومن خلال المبحث الأول بعض القضايا الفقهيّة ، وهو بذك يضطلع بدوره تماماً كداعية إسلامي يجاهد بالكلمة . وقد تميزّ شعره بسلاسة الأسلوب ، ووضوح المعاني ، وقد تنوّع أسلوب الشّاعر في معالجة هذه القضايا ، فتارة يجنح لأسلوب الحوار ، وتارة أخرى يعمد للخطاب المباشر ، ومرة ثالثة يعود للسخريّة ، وقد ابتكر أساليب جديدة نحسب أنّه قد تفرّد بها في معالجة القضايا مثل المحكمة الخياليّة التي عالج من خلالها مشكلة تشبّه الرّجال بالنّساءوالتي عالجها من خلال الشعر القصصي مما كان له بالغ الأثر في توصيل رسالته للمجتمع .

هذه بعض القضايا التي ركّز عليها الشّاعر، ولعلّ تناوله لها نابعٌ من حقائق عاشها، ومشاعر أحسّ بها وتجارب كابد دقائقها، فكان أثر ذلك واضحاً عنده في تصوّره، وقائماً في داخله وسلوكه، هذا فضلاً عن علمه بما تتميّز به لغته من أسرار، فهو يتذوّق جمالياتها، ويعرف ما فيها من صور مجازيّة فيحسن إستعمالها في مواضعها بحيث تؤدّى المعنى الذي يريد.

الفصل الرَّابع

التَّجارب والعواطف في شعر الصِّدِّيق الأزهريّ

الفصل الرَّابع

التَّجارب والعواطف في شعر الصِّدِّيق الأزهريّ

المبحث الأول

التّجارب الخاصّة

مرّ الشّاعر بتجارب عديدة بعضها محزن ينفطر له القلب ، وبعضها يبعث السّرور في النّفوس ، ثار الشّاعر على بعض العادات، وأنكر أشياء أخرى وكلّ هذه التّجارب هي التي شكّلت العاطفة في شعره يغضب حينما تنتهك حرمات الله ، ويحزن عند فقد عزيزٍ إلا أنّه وفي كلّ الأحوال يكون ملتزماً محتسباً . يقول متضرعاً للمولى عزّ وجلّ متقرّباً له بحبّ النّبيّ الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) :

قدّمت بين يدي حبّ المصطفى
وعقدت حبك يا مهيمن تاجا
ضيفٌ ألمّ بسوحكم محتاجا
يا خير من أوحي إليه وناجا
أشكو إلى الله الزّمان وصرفه
وإليك أشكو يا محمّد حاجا
من يشتكي لك إنّما يشكو لمن
سوّى وانشأ نطفةً أمشاجا

إذ أنت باب الله كعبة قدسه

نسعى ونعكف حولها حجّاجا[١]

فالعاطفة ومن خلال الأبيات السّابقة عاطفة قويّة صادقة مفعمة بحبّ الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) .

ارتبط الشاعر وجدانياً بالأماكن المقدسة فإذا استعرضنا قصيدته العروس المعطّرة فى مدح المدينة المنوّرة نجده يمدح مدينة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لا لشئ غير أنّها مهبط الوحي ، ومأوى رسولنا الكريم وكأنّى به يقول :

وما حبّ الديار شغفن قلبي

ولكنّ حبّ من سكن الدّيار

فهو يقول :

ما العزّ إلا للمدينة وحدها

مأوى الرّسول ومهبط الأملاك

علّقت آمالي بها فتنزّلت

طوع المنى من هامة الأفلاك

ذوالعرش عظّم قدرها وأجلّها

من أجل ساكنها الكريم الزّاكي[٢]

وبمثل ما مدح الشاعر المدينة المنوّرة ، وحنّ إلى ترابها فكذلك مدح مكّة المكرّمة متلهفاً لزيارتها قائلا:

---

[١] / الأزهريّات – الصّدّيق عمر الأزهريّ – ج تحت الطّبع ص١٠

[٢] العرائس الحسان – الصّدّيق عمر الأزهريّ – المكتبة الأهليّة – واد مدني - ص ٢ .

نزعات قلبي نحو مكّة أتلفت

روحي وأوهت بنيتي وقواها

ويحق أن أهواك ياأمّ القرى

يا مهبط الرّحمات من مولاها

يا مسقط الرأس الكريم ومرتع

الذّات الشّريفة عنفوان صباها

يا مهبط الوحي القديم ومنشأً

لقواعد الإسلام من مبداها[1]

وهو يتوق شوقاً لزيارتها وأداء مناسك الحجّ ، فيسرد شعائر الحجّ في ثوبٍ أدبيّ حيث يقول :

لو ساعد الحظّ الجميل وجدتني

ما بين حائطها وبين كساها

صدري على جدرانها ألصقته

وجعلت خدّى لاصقاً ببناها

أمسكت أذيال البنيّة ضارعاً

والعين يجري دمعها بدماها

ومقام إبراهيم أسعد عنده

أمن النفوس وروحها ومناها

[1]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص٢٩

وأفيض من عرفات مزدلفاً إلى

ربي ليغتفر الخَطا بخُطاها

وأبيت ألتقط الحصا من بعد أن

واصلت مغربها بوقت عشاها

صلّيت صبحاً وانتهيت لمشعرٍ

ودعوت مستمعاً يجيب نداها

ونحرت قلبي ليس عندي غيره

هدياً يجبر ما جنته يداها

دارت القصيدة حول فكرة الحجّ،لما فيها من أجواء شعريّة،واستطاع عرضها بأسلوبٍ شيّقٍ، مليءٍ بالمدلولات الإنسانيّة، والرّمزيّة .وهي محبّةٌ مفرطةٌ يكنها الشّاعر للأماكن المقدّسة جعلته ينحر فؤاده حبّاً ،ووجداً.

وتتنوّع العواطف عند الشّاعر بتنوّع التّجارب فها هو يحن لوطنه ومسقط رأسه أم درمان فيقول :

هوى كرري غضٌّ طريٌّ مباركٌ

سرى فشممنا منه رائحة النّدّ

وأطراف واديه وبرد ظلاله

مراتعنا الأولى ونحن على المهد

ولدت (بأم درمان) بين جبالها

ووديانها والتّلّ والحجر الصّلد

لدى ملتقى النّيلين مجمع بينهما
على شطّ نهر النّيل أرشف للشّهد[1]

يتذكّر الشّاعر مراتع صباه ، ويحنّ لها ، يحنّ لكرري ومجمع النّيلين يحنّ للسّهول والوديان ، وما ذاك إلا شعورٌ أصيلٌ في النّفس البشريّة في عاطفة صادقة قوية.

ذهب الشّاعر يوماً لزيارة قبر خالته زينب بنت الفكي الأمين الضّرير بمقابر أبي نجيلة ببحري فحرّكت فيه هذه الزّيارة ما كان ساكناً من مشاعر الحزن فعالج ذلك قائلا :

حقٌ عليّ أزور زهرة جدّتي
وتجيء بي لضريحها نزعاتي
وأزور سكان (أب نجيلة) كلّهم
من أجلها من غير ما علّات
وأزور سابلة القناع خديجة
أمّي بقصد البرّ والبركات
بنت الأمين الطّهر برّة بعلها
كانت له من أبرك الزّوجات
وأزور ربّات العفاف جوارها
أقضي بذلك واجب الخالات
يابنت داود عليك تحيةٌ
بركاتها تمتدّ للأخوات[2]

[1]/ المرجع السّابق – ص٥٥
[2]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص٨٠

هو يرثي خالته لكنّه يتذكّر والدته وجميع أهله،فإن جاءت القصيدة لخالته زينب فربّما لأنّها آخر الرّاحلين عن الدّنيا من أخواتها، لكنّ عاطفته تظهر واضحة تجاه جميع أهله في شمول القصيدة حيث يقول:

حقٌ عليّ أزور زينب خالتي
في الرّوضة الفيحا مع الجدّات
شملٌ تشتت في الدنا فتجمّعت
أوصاله في القبر بعد شتـات
والرّوح بالأرواح فيه أنيسةٌ
أنس النّديم بطيّب النّغمـات
سبحان من جمع الأواخر بالألى
ليضم عظم رفاتهم برفـات
يازهر زارتكم كريمة قومـها
تسعى على عجلٍ بغير أنـاة
يأمّ مريوم أتتكم زينـب
ضيفاً تمتّ لعزّكم بصـلات
زارت حليمة أختها فتبـادلا
طرف الحديث وشيّق البسـمات
ها زينب الطّهر الرّزينة أفلحت
وتسارعت لحظيرة الأمّـات

كانوا لها سلفاً لتهيئة القرى

وتخيّر الدّرجات في الجنّـات

يازينب الحسنات نمت قريرة

وعيوننا أمست بكم سـهرات

قد هيأوا لك في الجنان أريكةً

فيحا بقرب أبيك دار هنـاة

دار العلوم كما علمت فسيحةٌ

وأبوك فيها واسع السّكنات

والموت راحة مؤمنٍ وسروره

والقبر فيه ملائك الرّحمـات

هو يرثي خالته، ويرثي جميع أهله ، وكأنّي به يخاطب الأحياء من أهله، مذكراً برحمة الله، ومواسياً لهم، شأنه شأن العالم الموقن بحتمية الموت. وهو وفي هذا الموقف المهيب لايتخلّى عن أسلوبه المرح ، ودعاباته التي عرف بها فيقول:

ظنّي جميل أنّ ربّي ناظرٌ

لضريح زينب أكرم النّظرات

فتذكرينا وافرحي بقدومنا

عمّا قليل كلّنا لممـات

أوصيك إحسانا بكل صديقة

وأنا إبن أختك عطّري غرفاتي

فبحق زمزم والحطيم وركنه

ووقوفك الميمون في عرفات

منّي علينا بالرّضى وتجاوزي
عمّا مضى منّا من الهفوات

وللشاعر قصيدة حكى فيها رحلته لأم روابة بغرب السّودان ، وهي تعبّر عن مشاعر وأحاسيس الشّاعر وقبطته بهذه الرحلة فضلاً عن إشاراته للأمثال والأحاديث النبويّة الشريفة الشيء الذي ظلّ يميّز شعره بل ويعتبر من أميز خصائصه الفنيّة :

يا كنتباي لك التّحية عرفها
يزري بريح المسك من دارينا[1]
يابن الأمير ويا سلالة خزرج
خلقاً ورثت من الجدود رصينا
هبني سماعك منعماً فلعلّ من
وحي القريض قرائحي تمليناً
ما كنت بدعاً أن أسجّل رحلتي
في صفحة التّاريخ للآتينا
حتى إذا جاءوا بها أنسوا كما
قد آنستنا سيرة الماضينا
غرسوا فمتّعنا بيانع ثمرهم
فليقتطف من جاء من أيدينا

[1] / كنتباي : هو الأمير كنتباي أبو قرجة . العرف : الرّائحة الطّيّبة. دارين: موضع باالبحرين ينسب إليه المسك

هل أبصرت عيناك هندا عندما

جاءت تثبّطني فقلت : ذرينا

يا هند لم أسمع غداة البين .إذ

ودّعتني ورجعت ما توصينا

والدّمع من عينيك لم ينجح لدى

من لم يعر أذنيه ما تشكينا

حتى ولو مزجت دموعك بالدّما

لم يثن منّي العزم أن تبكينا[١]

رحلّة الشّاعر لأم روّابة كانت طلباً للعلم واكتساب المعرفة، لذلك لم يعبأ بدموع التّوسل التي ذرفتها ابنته مؤكداً على أنّ همّة المرء لو تعلّقت بالثّريا لنالها

إنّي عزمت على المسير فكفكفي

دمع الأسى ليهون ما تجدينا

مثلي جديرٌ أن يشمّر ذيله

ويجوب في طلب العلا الأرضينا

أو نرتقي نحو السّماء بسلّمٍ

إن لم نجد في الأرض ما يرضينا

إنّا لنسمو للعلا فوق العلا

حتى يطاوعنا العلا ويلينا

علّقت بعنقود الثّريا همّتي

وعزيمتي وبه فتنت فتونا

١/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص٨٢

لا بدّ أن نسعى إلى نيل المنى

إمّا وجدت ، أو اضطّجعت دفينا

هذا الذي يرضى العلا عنّا به

فلتصبري يا هند أو تبكينا

رغم حدّة خطابه مع ابنته فإنّنا لانستطيع وصفه بقسوة القلب ، وضعف عاطفة الأبوّة ، بل يمكننا أن نؤكّد بأنّه يحكّم عقله دائماً.

وبمثل ما لاحظنا تأثّر الشاعر بالأقدمين في الفصول السّابقة ،فإنّنا نلحظ تأثّره هنا بأبيات الزّمخشريّ التي يقول فيها:

قامت لتمنعني المسير تماضر

أنّى لها وقرار عزمي باتر

صوني دموعك ياتماضر واصبري

لله صابرة فإنّي صابر

لو أشبهت عبرات دمعك لجّة

وتعرّضت دوني فإنّي عابر

إن هاجر الإنسان عن أوطانه

فالله أولى من إليه يهاجر

ويواصل الشّاعر قصيدته مواسياً لإبنته تأكيداً لقوّة عاطفة الأبوّة عنده فيقول:

لو ساعد المقدور ما فارقتكم

ولما تعدّيت الحسان العينا

وصروف دهرك بعضها طوع المنى

والبعض يجري عكس ما تهوينا

يسعى الفتى ويجدّ في طلب العلا

مسطاعه والله كان معينا

عرض الدنا لا أبتغيه وإنّما

أبغي العلوم ولو بلغت الصّينا

في الإغتراب فوائد خمس

وصحبة ماجد من خمسها تغنينا

يعود الشّاعر لأسلوب الإشارات حيث يشير بحديثه عن طلب العلم لحديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم :(أطلبوا العلم ولو بالصّين فإنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم) [١]كما يشير إلى الفوائد الأخرى فى إيماءة لقول الشّاعر :

تغرّب عن الأوطان في طلب العلا

وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرّج همٍّ واكتساب معيشةٍ

وعلمٍ وآدابٍ وصحبة ماجد[٢]

[١]/ تنزيه الشّريعة المرفوعة عن الأخبار الشّنيعة الموضوعة – أبو الحسن علي بن محمّد بن عراق الكنانيّ – دار الكتب العلميّة – بيروت – لبنان – ط٢ – ١٤٠١ه – ١٩٨١م – ج١ – ص٢٥٨

[٢]/ جواهر الأدب – السّيد أحمد الهاشميّ – دار الجيل – بيروت – لبنان – ط١ – ص٨٣٣

وهو بقوله هذا إنّما يشير لصديقه ورفيق دربه (النّميريّ) المادح المشهور والذي رافقه خلال هذه الرحلة كما صرّح بذلك في قوله :

إنّ النّميريّ ماجدٌ وكفى بـه
في رحلتي إنّي وجدت قرينا
أجني جني الآداب من أنفاسه
وأهيم حين يردّد التّلحينا
يشدو بذكر المصطفى فدموعنا
تهمى ويولينا الحداء شجونا

جاءت هذه الأبيات قويّة صادقة معبّرة عمّا يجيش في خاطره ، وقد أكدت الأبيات قوة العاطفة الدينيّة لدى الشاعر.

كان الشّاعر في رفقة الشّيخ ابن عمر وذات يوم صوّب الشيخ بندقيّة (خرطوش) نحو مجموعة من الكلاب فلم يصبها فقال الشّاعر مؤانساً شيخه ومداعباً له :

سامرته فجعلت أضحك سنّـه
إذ قلت إنّك سيدي لعريق
كم ذا رميت فلم تصب الا الحشا
من كلّ حرٍّ بالسّماح حقيق
فملكت أعناق الرّجال مهذّباً
لجميعهم وبذاك أنت خليق

كذبت عليك البندقيّـة مرة

لمّا عصاك الكلب فهو معيق

إنّ الكلاب قليلهنّ معلم

أمّا السّلاح ولو نبا لرفيق [1]

فلنتأمل كيف انصرف الشاعر من عدم تمكن الممدوح من ضرب الكلاب ، وفشله في ذلك لتمكّنه من اصطياد قلوب محبيه. فهي صورة رائعة وتعليل جيّد ، ولم يتأتى ذلك للشّاعر الا لصدق محبّته للممدوح فجاءت عاطفته مليئة بالحبّ الصّادق.

ولايزال تأثّره بالأقدمين واضحاً حيث نجد هذه الأبيات تماثل قول الشّاعر:

رمى المهديّ ظبيـاً

شكّ بالسّهم فؤاده

وعليّ بن سليمان رمى

كلباً فصــاده

فهنيئاً لهمـا كلّ

امرئٍ يأكـل زاده

إلا أنّنا نلحظ التّطوّر الذي حدث في الآلات المستخدمة ما بين السّهم والبندقيّة،وذلك لتطوّر الزّمن نفسه.

[1] / العقود بين النّهود – الصّدّيق عمر الأزهريّ – مطبعة الفجّالة – القاهرة – مصر – ص٨١

ولا تخلو قصائد الشيخ الصّدّيق من فكاهة رقيقة لا تجرح سمعاً ولا تخدش أذناً لكنّها تدلّ على نفس الشّاعر المرحة ، وامتزاج ذكائه بموهبته،قال مداعباً أهله:

يا طير سامر صبيتي برفاعة
علّل جروح فؤادهم تعليلـه
بمشيئة المولى أشمّ نسيمهم
لتقرّ أعين صبية وحليلـة
لا تحسبوا أنّي أقمت معرّساً
بفتاة كبكابيّة وطويلـة[1]
إنّي أحبّ من العرائس ربعة
ما بين بين من الحسان كحيلة
هيفاء نجلاء وهي ملء كسائها
العود أملد والخدود أسيلة
حتى صباح اليوم لم تلد النّسا
ما أشتهيه جبانةً وبخيلـة
فرجعت صفر الكفّ لست بمالكٍ
ممّا يعزّ على النّفوس فتيلة
وهو الذي تهواه أمّ بنيتي
شمتا تقول هل اتخذت زميلة؟

[1]/ كبكابيّة وطويلة: مناطق بغرب السّودان

فأقول لا. فتقول أحمد خالقي

ما راعني سبحانه بدخيله

رحل الحفيد فجئتكم من بعد أن

قبّلت راحة سيدى تقبيله

الله يجمعنا ويجمع شمله

كان الإله كفيلنا وكفيله[١]

ذهب الشّاعر في رحلة طويلة مع الحفيد ابن عمر شملت معظم مناطق غرب السّودان فكتب هذه القصيدة مسليّاً لأبنائه ، ومداعباً زوجته. فجاءت معانيه سلسة معبرة أضفى عليها الشاعر بدعابته نوعاً من الحيوية،وقد يدخل وصفه للمرأة في باب الغزل ممّا يؤكد قوّة العاطفة تجاه المرأة عند الشّاعر.

والفكاهة عند الشّاعر تبدو واضحة في معظم الأغراض التي تناولها، فها هو يمدح الأمين شالنتو[٢]

ويداعبه بقوله:

يانجل شالنتو العفيف إزاره

أنت الأمين الطّاهر الأنفاس

في السّلم تضحك باسماً مستبشراً

ولدى الكريهة باديَ الأضراس

وحفاوةٌ بالضّيف تلك سجيّةٌ

لبنيك ياشالنتو بين النّاس

١/ العقود بين النّهود – مرجع سابق – ص٧٩

٢/ الأمين شالنتو: أحد أصدقاء الشّاعر بغرب السّودان زاره الشّاعر في رحلته مع الحفيد إبن عمر لغرب السّودان.

أخلاقك العظمى تدلّ على فتىً

سمح النّدى عاري من الأدناس

أصحاب سرّك يضحكون لعلمهم

بالمنطوى في داخل الأكياس

وأنا سليم الصّدر من وسواسهم

في راحة من خدمة الوسواس

مالي وللأمر الخفيّ سترتـه

بمكارم الأخلاق يابن إياس

(أناناسكم)غضٌّ فما أنا ناسِهِ

وحديثكم أشهى من الأناناس

الله يشملنا بعين رعـايةٍ

دامت ولا زالت بغير نعاس[1]

استخدم الشّاعر أسلوباً بسيطاً في مدحه، صادقاً في عاطفته، تظهر الفكاهة في إشاراته لما يدور في الخفاء بين الممدوح وأقرانه، كما أنّ الجناس في ذكره للأناناس يظهر الجانب المرح عند الشّاعر بجانب دلالته على كرم الممدوح.

[1]/ العقود بين النّهود – مرجع سابق – ص ١١٦

المبحث الثاني
التّجارب العامّة

أنكر الشّاعر العديد من الممارسات التي يعتبرها- حسب فلسفته في الحياة وتربيّته الدينيّة – بعيدة عن الأخلاق والقيم الإسلاميّة الفاضلة ، فها هو يثور على ظاهرة الغناء عند الرّجال ، فهو يعتبرالغناء حكراً على النّساء ولا ينبغي لرجلٍ أن يمارس الغناء إحترافاً ،إذ أنّه يعتبر ذلك خروجاً عن القيم فيقول :

تفنّنوا في الأغاني وهي منقصةٌ
في حقّهم تخذوها غير تبصيرة
دعوا الأغاني إلى هندٍ تعيش بها
فالحرّ عيشته كدٌّ وتشميرة
كل من جبينك لا تأكل بحنجرةٍ
في سوق هندٍ فللأسواق تسعيرة
هندٌ تبيع بسعرٍ لست تملكه
فأنت صلبٌ قويٌّ وهي قصطيرة
فلا تكدّر عليها سوق عيشتها
فاترك لآنسة عوداً وتزميرة [1]

[1] / الأزهريّات – مرجع سابق – ص٧٢

أغلب الظنّ أنّ الشّاعر قد أنكر على الرّجال الغناء من منظورٍ إجتماعيّ، إذ أنّ المجتمع السّودانيّ ينظر للرجل، نظرة مهابة وإجلال، فهو قد خلق للحروب، وللكرم والشّجاعة،ويظهر ذلك في موروثات الغناء لدى النّساء كما في رثاء بنونة بت المك نمر لأخيها عمارة :

مادايرالك الميتة أم رماداً شح
دايراك يوم لُقا بدميك تتوشح
وكت الخيل يقولبن والسيف يسوي التّح
والميت مسولب والعجاج يكتح

أمّا النّساء فهنّ للغناء ، والتّرفيه ، والحماسة،ولا أعتقد بأنّ الشّاعر يدعو لخروج المرأة للحفلات، والملاهي فذلك لايستقيم وشخصيّته ، إنّما دعوته لترك الغناء للنساء إنّما هي دعوةٌ لأن تظلّ الملاهي والحفلات حكراً على النّساء فقط.وحتى دعوته للإحتفال بالزّواج عند إفتتاح زاوية المناصير والتي يقول فيها:

ونبني بيوت الدّين حتى إذا استوت
جمعنا كرام النّاس للحفلات

إنّما يقصد الشّاعر الإحتفاء بالزّواج ،بالولائم وغيرها من مظاهر الإحتفاء، وليس بالضّرورة أن يكون الإحتفاء فقط بالأغاني، والحفلات السّاهرة.ويؤكّد قولنا ما صاغه هو في معرض علاجه لمظاهر الزّواج بالسّودان حيث يقول:

متى أرى من شبابي مضرباً حسناً
يجفو القبائح والحسناء يحييها
حمائل السّيف للعرسان حليتها
أمّا الخضاب بلا شكٍّ يشنّيها

أمّا العروسة فالحنّاء حليتهـا
والعقد في صدرها أبهى مرائيها
ما للرّجال وللحنّاء قد صبغت
أطرافهم، إنّ هذا من تجنّيهـا
سرقت يازيد من عفراء بهجتها
فصرت أجمل منها في مرائيها!
ما كان أزهدها فيما يشرّفكـم
فهل تركتم لها ما بأيديهـا؟
ومعصم الشّهم تشنيه حريرتـه
على عوائد أمات يلبّيهـا
لاتسلك العقد يازيدون في عنقٍ
ونزّه الصدر لاتزريه تشويها
دع الخضاب ودع عنك النضارإلى
ذات الدّلال، بـه أمٌّ تحلّيهـا
أمّا الضريرة ما أحلى روائحها
أكثر نصيبك منها لا تخلّيها[1]

نجده قد نظر للعادات والتقاليد السّودانيّة من منظورٍ شرعيّ، أقرّ ما أقرّه الشّرع ، وأنكر ماعداه،وهذا دأبه في معظم قضاياه، وإنّنا نرى قوّة العاطفة تجاه القضايا التي يتناولها وذلك لقوّة إيمانه بما يدعو له، لذلك فقد جاء أسلوبه بسيطاً، بعيداً عن التّكلّف.

[1] / الأزهريّات – مرجع سابق – ص٧٦

زار الحفيد ابن عمر منطقة كتم بغرب السّودان وهناك خرج الرّجال لاستقباله ولسماع موعظاته ، ولاذت الّنساء بخدورهنّ فتحدث الشاعر بلسانهنّ مخاطباً الحفيد ابن عمر :

لما تحجّبت النّسا بخدرها
برزت عرائس فكرتي أبكارا
لتبث عن ذات الشعور شعورها
عن الحفيد وتذكر الاعذارا
إنّا احتجبنا يا حفيد بشرعكم
ويحق للفتيات أن تتوارى
يغري الفتى صوت الفتاة وبسمها
فلربما خلع الحليم ازارا
قد حرّم المولى علينا جمعكم
لكن بوجه الحلّ لا إنكارا
إنّ النّساء جميعهنّ حبائلٌ
للشرّ فاجعل دونهنّ ستارا
هل مانعٌ لفتاتنا من وردكم
خلف الحجاب تلقُّن الأذكارا؟
قال الحفيد طريقنا ميمونةٌ
تكسو المريد معزّةً وفخارا
لقّنتكن الورد غير مصافحٍ
أخشى إذا صافحتكنّ النّارا

وجعلت ستراً دونكنّ مخافة

من نظرة قد تجلب الأخطارا

بشرى لأهل الورد قاطبة فقد

جئنا لهم نسعى نشقّ غبارا[1]

جاءت القصيدة مليئة بالمعاني الإسلاميّة الفاضلة ، والقيم الحميدة ، صاغها الشّاعر بأسلوب المعلّم والمربي موضحاً ضرورة الحجاب للنساء مع التّسليم بضرورة عدم مصافحة الرّجال للنّساء إلتزاماً بالشّرع . عاش الشّاعر هذه التجربة فاستخدم ذكاءه في صياغة هذه القصيدة المفعمة بالعاطفة الدينيّة القويّة ، كما أننا نلمح خيال الشّاعر الواسع من خلال الحوار الذي أجراه بين النّساء والشّيخ.والقصيدة أقرب ما تكون للقصائد الغزليّة، غير أنّ تربيّة الشّاعر الدّينيّة قد أسهمت إسهاماً واضحاً في توجيه تفكيره فأبرز صورة المرأة في زيّها الإسلاميّ المحتشم.

عاش الشاعر خلافات فقهيّة عديدة مع جماعة أنصار السنّة المحمديّة وتصدى لذلك شعراً ونثراً مبيّناً حجّته ، وهاجياً لجماعة أنصار السنّة أحياناً فجاءت عاطفته قوية تظهر في انحيازه لأفكاره. ومن هذه المواقف والخلافات موقف أنصار السنّة من كيفية مدح المصطفى عليه الصّلاة والسّلام ، بينما يرى الشاعر جواز ذلك مستدلاً بحسّان بن ثابت وأبي طالب والعبّاس حيث يقول :

محمدٌ يرضى أن يكون ممدّحاً

ونمدحه كيما تموتوا وتكمدوا

وعمدتنا في المدح حسّان ثابت

---

[1] / العقود بين النّهود – مرجع سابق – ص٧١

أبوطالبٍ ، عبّاسٌ . وربّك أمجد

ونضرب طبلاً للمديح وربّما

رفعنا له الأعلام والشّمع نوقد

وتضطّرب الأكواب بين جموعنا

ونهشّم لحم الضأن والخبز نثرد

وعمدتنا في الطار دفٌّ أقرّه

بخزرجة والدفّ طارٌ مجلّد

وقد صعدوا فوق السّطوح ونقروا

وأثنوا عليه وهو يبسم يحمد

وقد وصفوا خَلْقَاً وخُلْقَاً وردّدوا

أتى البدر بالأمر المطاع فوحّدوا

ولما توارت نسوةٌ بحجابها

لهذا ترانا كل يوم نجلد

وجاءت هدية المدّاح هاكم دليلها

رداءٌ كساه المادحين محمّد[1]

ينحاز الشاعر لمعتقداته ، ويدافع عنها بقوة وبصدق لذلك نراه يؤيّد أهل طريقته والطّرق الصّوفيّة ،ويحارب بعنف وبعاطفة صادقة كل من يتعرّض لهم بالإساءة والتّجريح.

تناول الشاعر القضايا الدينيّة بتوسّع إلا أنّه لم يجهل الجانب الوطنيّ حيث نجده ينادي بالوحدة بين السّودان ومصر فيقول:

---

[1]/ القنبلة الذّريّة – الصّدّيق عمر الأزهريّ - المكتبة الأهليّة -واد مدنيّ – ط٢ – ص٢٠

ياشقيقاً همّه أمّته

يجمع المنبع منها بالمصب

مجمع الضّدين أمرٌ هيّنٌ

ليس بدعاً عند ذي الرّأي الألب

يرفع الأميّ لو طاوعه

. من حضيضٍ . فوق هامات الرّتب

ويريه الحقّ حتى أنّه

يلمس الرّشد قريباً عن كثب

وإذا الحق تجلّى واضحاً

ذهبت أدراجها كلّ الرّيب

فإذا السّودان مصر قد ثوى

تحت تاج العزّ لا تاج الغصب

فاعلاتن فاعلاتن فاعل

ظاهر الإعراب والرّفع وجب

يضرب المفعول إلا أن رأى

وحدة النّيل وألوى وانتصب

ويل عمروٍ منك يازيد إذا

لم يولّ الدّبر أو يجري الخبب

أو يرى الوحدة حقاً ثابتاً

كلّ من لايراها حقاً كذب

هذه الأبيات مزحٌ كلّها

وهي حقٌ أينما صار غلب

آه يامصر ويأمّ الدنى

جادك الغيث وتجفوك النّوب

نيلك الفيّاض والضاد هما

صلةٌ، والدّين أقواها سبب[١]

كذلك فقد ثار الشّاعر ثورة عارمة ، وغضب غضباً شديداً عندما علم بانعقاد مجلس رفاعة البلديّ للتشاور حول إقامة (بار) بمدينة رفاعة فقال :

جزى الله خيراً ستة نظروا لنا

بعين إلى الإسلام والدّين مكبـرة[٢]

هدى الله قوماً يلعبون بدينهم

كما يلعب الصّبيان في (التّيم) بالكرة

فقد ضربوا الإسلام في أمّ رأسه

فسال دماً في الأرض ما كان أحمره

وأقبح شيئٍ خسّـةً ومعرّةً

إذا عقد الإسلام للخمر مشورة

يحرّمها بعضٌ –كما قال ربّهم–

وبعضٌ يبيح الخمر من غير تبصرة

قد انقسموا ستاً لست فستّةٌ

أصابوا،وستّةٌ صيروا الشعب مجزرة [٣]

١/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص٨٧

٢/ كان مجلس رفاعة البلديّ يتكوّن من إثني عشر عضواً، وقد تقدّم مواطن إنجليزيّ يدعى (بروس) بطلبٍ للمجلس لبناء بار بالمدينة فاجتمع المجلس ليقرر في ذلك . فستةٌ رفضوا بناء البار، والسّتة الآخرون أيدوا قيامه.

٣/ المرجع السّابق – ص٦٨

جبلت النّفس البشريّة السّويّة على كراهيّة العنف،وقد لجأ الشاعر لاستعارة هذه الصّورة الدّمويّة علّه يوضح بشاعة الجرم الذي قام به من أرادوا إقامة البار. وقد عرف الشّاعر بقوّة عاطفته الدّينيّة لذلك جاءت غضبته بهذه الصّورة الدّمويّة.

شارك الشّاعر في العديد من المناسبات الدّينيّة، والإجتماعيّة، ومن هذه المناسبات إفتتاح مسجد العمارة طه، وقد ألقى قصيدة بهذه المناسبة قال فيها:

هنيئاً هنيئاً للعمارة طه
باليمن والبركات من مولاها
في صحنها الميمون أنشأ ربّها
بيتاً كريماً فاح منه شذاها
فربوعه اتّسعت ومنبره استوى
وهلاله يحكي هلال سماها
ومن الحلال تطاولت شرفاته
فرحت عمارتهم به وقراها
وخطيبهم فوق المنصة منذراً
لعصاتها ومبشّراً تقواها
جمع القلوب على المحبّة والتّقى
أكرم بخطبته التي ألقاها[1]

[1]/الأزهريّات – مرجع سابق - ص٧٣

عاش الشاعر لحظات افتتاح المسجد، فعبّر عن ذلك شعراً ملؤه العاطفة الصادقة،فهو يتحدّث عن المسجد كصرحٍ دينيٍّ يجب أن يكون بناؤه من الحلال الطيّب ، لأنّ الله طيّبٌ لايقبل إلا الطّيب،ثمّ يتناول رسالة المسجد، وماينبغي على الإمام القيام به من تذكيرٍ.

هذه نماذج من التّجارب التي عاشها الشّاعر والتي انطلقت من نبع إيمانه الفيّاض بالتّسليم المطلق لخالق الكون جلّ وعلا ، وهو يمزج هذه الإنطلاقة الإيمانيّة بالتّأمل في مشاهد الكون ، والنظر في ملكوت السموات والأرض، واستجلاء معالم القدرة الالهية في صنعة هذا الكون البديع المتناسق ،وهو في غمرة تجاربه الإيمانيّة والتأمّليّة لا يكون بمعزلٍ عن واقع الحياة ومشاغل الإنسان وآماله وأحلامه ، فهو في إيمانه يتأمّل ما خفي من أسرار الكون ، وينظر إلى الإبل كيف خلقت ، ويهيم في حبّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، وهو في تأمّلاته يستجلي أسرار الحياة ، ويبحث عن منافذ الخلاص للإنسان في أسلوبٍ لا تخفى فيه الفكاهة عبر رؤية إسلاميّة متميّزة صاغ معالمها في قالبٍ فنيٍّ مؤثّر .

الفصل الخامس

الخيال والموسيقى

وأثرهما في تجلية المعاني

الفصل الخامس

الخيال والموسيقى وأثرهما في تجلية المعاني

المبحث الأول

الخيال وأثره في تكوين الصّور الفنيّة

الخيال هو وضع الأشياء في علاقات جديدة وهو سمةٌ بارزةٌ من سمات الأسلوب الأدبيّ لأنّه يصوّر العاطفة ، أو ينقلها إلى السامع أو القارئ ، ويبرز المعاني ويضفي عليها ثوباً زاهياً تخطر فيه فنتقبّلها ونفهمها .والخيال موهبةٌ تنفذ بروح الشّاعر إلى أسرار الوجود ويجعله يحلّق طليقاً في أجواء وعوالم جديدة مليئة بالرّؤى الجذّابة ، والصّور الخلّابة ، والموسيقى السّاحرة ، وأحسب أنّ الشّاعر الصّدّيق الأزهريّ ممّن حباهم الله بهذه الموهبة الفذّة ، والخيال الواسع.وبفضل هذا الخيال استطاع معالجة العديد من القضايا الإجتماعيّة ، فنجده تارة يعمد إلى التّشبيه والاستعارة والكناية كما في قوله :

حاربت أيّامي فمدّت كفّها
وتبسّمت فكأنّ برقاً أومضا
والحرّ حرب زمانه إلا إذا
وجد الزّمان على وفاق المرتضى
لا أشتكي ريب الزمان وصرفه
متقلّباً منه على جمر الغضا[1]

[1]/ الغضا: شجرٌ قويّ الخشب جمره يبقى مشتعلاً زمناً طويلاً .

هبّ الصّبا زمن الصبا فنقشته

والعمر كان مذهّبا ومفضّضا

واليوم أنشقه وبالي ناعمٌ

رغم المشيب على النّواصي أبيضا

والله أسأل أن يديم نعيمه

حتى أكفّن في الثّياب وأغمضا

والله عند الظّنّ ما حسّنته

ورجوته في جنبه الا انقضى[1]

كثيرٌ من النّاس يشكون صروف الدّهر، وتقلّباته ، ويصبون جام غضبهم على الأيّام .تناول الشّاعر هذه القضيّة ونظر لها من نفس الزّاوية التي ينظر منها معظم النّاس إلا أنّه عالجها معالجة الفنّان الرّقيق صاحب الخيال الواسع،فقد صوّر لنا الصّراع النّفسي الذي كان يعيشه ما بين معاناته في تصريف أموره المعاشيّة وبين التزامه الدّينيّ الذي يمنعه من معاداة الدّهر،فكان دوماً يلتزم جانب التأدّب مع القدر تسنده في ذلك تربيّته الدّينيّة، لذلك نجده يقول :

لا أشتكي ريب الزّمان وصرفه

متقلّباً منه على جمر الغضا

في وقتٍ يقول فيه آخر

فليس الزّمان وإن حرصت مسالماً

خلق الزّمان عداوة الأحرار !

[1] / الأزهريّات –الصّدّيق عمر الأزهريّ – ج١ –تحت الطّبع– ص٣١

وعندما اكتملت الصّورة بأبعادها التي أرادها جاء العلاج والبلسم والذي هو دائماً الرّجوع لخالق الكون وتحسين الظّنّ به لذلك يلوذ به الشّاعر ويسأله أن يديم عليه نعمائه. فصوّر لنا منظراً بديعاً نكاد نراه أمام أعيننا فتجاوبنا معه.

إذاً فقد كان لخيال الشّاعر بالغ الأثر في رسم صورة فنيّة رائعة أضفت على ا لمعاني والأسلوب جمالاً وبهاء.

تناول الشّاعر العديد من أغراض الشّعر ، وفي كلّ ضربٍ نجد أثر الخيال واضحاً، فها هو يصف شعوره بالحزن والأسى لفراق الشّيخ ابن عمر[١] فيقول :

إنسانكم ما غاب عن إنساني
فلأيّ شيءٍ زائدٌ خفقاني ؟
وخيالكم والطّيف ما برحا معي
في منحنى الأضلاع والأجفان
بالله يا ضربات قلبي هوّني
شيئاً عليك ولو ببعض ثوان
يا نفس قد عظم المصاب من النوى
فتثبّتي شيئا ولا تتفاني [٢]

إستدعى الشّاعر صورة الممدوح مؤكّداً وجودها دائماً أمامه ، وهذه الصّورة قد إستدعاها الشاعر من الخيال حيث لاوجود لها في الواقع ، ثمّ يصوّر حالته النّفسيّة وما يعانيه من آلام لفراق الممدوح، ويظهر ذلك من خلال تسارع ضربات

[١]/ الشّيخ إبن عمر أحد أعلام الطّريقة التجانيّة بدولة المغرب، وقد جاء في زيارةٍ للسودان شملت معظم مناطق غرب السّودان، رافقه خلالها الشّاعر،وهذه القصيدة نظمها الشّعر عند مغادرة الشّيخ ابن عمر للسّودان.

[٢]/ العقود بين النّهود – الصّدّيق عمر الأزهريّ - مطبعة الفجّالة الجديدة – القاهرة – مصر – ص١١٨

قلبه، فقد كان بإمكان الشّاعر أن يوضّح لنا ألمه وحزنه في أسلوبٍ تقريريٍ مباشر، ولكن ذلك قد لايثيرنا،بمثل مايثيرنا إستجداؤه لقلبه أن يهوّن عليه بعض ثوانٍ! فهذه الجزئيّة الصغيرة قد لايلتفت إليها الإنسان العادي، إلا أنّها وبلا شك لها قيمتها ومضمونها عند الشّاعر،وإذا تأمّلناها نجدها تجسّد حالته النّفسيّة،ومكابدته فراق ممدوحه، وما تأتى له ذلك إلا عن طريق الخيال الذي أتاح له رسم هذه الصورة البكائيّة ، في قالبٍ فنّي .

وقد تعدّدت صور الخيال عند الشّاعر، فها هو يمدح الحافظ بن محمد [1] في أسلوب رائع وحوارٍ بديعٍ دار بينه وبين الأرض حيث ألبس الشّاعر الأرض ثياب البشر وخصّها بخواصّهم في الخطاب والمحاورة حيث قال :

ربت أرضنا تهتزّ من فرحٍ بكم

ومالت إلى جنبٍ فأوهنها الميد

فلمّا رأيت الأرض ماجت بأهلها

فقلت اثبتي يا أرض من فوقك الطّود

ومن فوقك البحر الخضم معارفاً

أما ترين الجزر يعقبه المدّ؟

ومن فوقك العذب الفرات لظامئٍ

ولا مانعٌ للقاصدين ولا ردّ

ومن فوقك الطلّ المطلّات مزنه

بل الوابل الهتّان يهمي ولا رعد

فقالت رأيت الحافظ بن محمّد

---

[1] / الحافظ بن محمّد: هو أيضاً أحد أعلام الطّريقة التّجانيّة بالمغرب

تدفق علماً فاستفزّني الوجـد

وقالت إليك العذر أمّ شغوفةٌ

فمن لم يلد الأمّات إن رجف الكبد

أخاف عليه من عيون حواسدي

ومن نافثاتٍ في الخيوط لها عقد

أعوذه بالمحكمات وبعد ذا

أبيت على جمر يغالبني السّهد

فقلت لها لله أمّي خديجة

كذلك كانت لا تنام ولاتهدو

قالت لعمري ما خديج ونجلها

فبالله لا تجني عليّ ولا تعدو

فنجلي هو الشّهم الذي تعلمونه

هو الشّبل إنّ الشّبل يخدمه الفهد

فقلت لها استغفر الله راجياً

تجاوزه سهوي ويغتفر لي العمد[1]

عاد الشّاعر للصّور التقليديّة في تشبيه الممدوح بالبحر، والغيث، والأسد، وغيرها من الصّور التي توجد كثيراً في الشّعر العربيّ،غير أنّنا نلحظ أنّ تعلّقه بالممدوح قد جعله يطلق لخياله العنان فيلبس الأرض حواس البشر لتكون شاهدةً على مكانة الممدوح العلميّة ، فيكون وبفضل الخيال قد إستطاع إثبات فضل الممدوح بشهادة غير الأحياء.

[1]/ العرائس الحسان – الصّدّيق عمر الأزهريّ – المكتبة الأهليّة – واد مدني – ص١٢

وكما عرف الشّاعر الخيال في التّشبيه والاستعارة وغيرها من ضروب البيان،وكماعرف الخيال الذي ينطق الجماد، كذلك فقد عرف الخيال الذي ينطق الحيوان فهاهو يصف لنا حواراً دار بين قطاتين :

قالت قطاةٌ وهي ترشد أختها
وتنصح فيما تدّعي وتقول
لا تنكحي إن فرّق الدّهر بيننا
سوى حارتٍ بنت الكرام بتول
قالت لها (الخوجات) أنعم عيشةً
طعاماً وفرشاً واللّباس صقيل[1]
قصراً مشيداً والشّبابيك فتّحت
يجيئك منهنّ النّسيم عليل
قالت:علمت البعض والبعض غائبٌ
وإنّي عن الخوجات سوف أقول
دعيني عن الخوجات إذ كلّ خوجةٍ
إذا ما شرحت الحال سوف يطول
وقد أنهك التّدريس منهم جسومهم
وأفكارهم مشغولةٌ وعقول

ما ابتلعت قمريةٌ حبةً لهم
ولا نفسها كانت إليها تميل

[1]/ الخوجات: جمع خوجة وهي كلمة تركيّة تعني المعلم

عيني عن النّظار إذ كلّ ساعةٍ

يكدّر صفو النّاظرين رحيل

عيني عن الكتّاب إذ كلّ كاتبٍ

ولا شكّ من طول الجلوس ملول

وإن قيل للمأمور :أمسكتُ بيتكم

يقول: بلادي أين عنك أحول؟[١]

وإن قيل للنّوّاب: معكم سلامة

يقولون أهلاً ياملود تطول[٢]

ويوم يحالون القضاة لعيشهم

فلا عيش إلا في البلاد ينيلو[٣]

وما أنا راضٍ أن أكون مفتّشاً

جميع نهاري شَدّةٌ ونزول[٤]

ولست بمسّاحٍ ولا بمهندسٍ

لجنزيره فوق البيوت صليل

ولو جعلوني حاكم القطر كلّه

أنفّذ أحكامي به وأزيل

لما شاقني إلا بلادٌ وهيطةٌ

وظلٌ بأكناف البلاد ظليل[٥]

وتعجبني كرّابةٌ مستقيمةٌ

---

[١]/ أمسكت بيتكم:أي إبق في بيتك.وهي عبارة كان يقولها الحكّام الإنجليز للموظّف المحال للمعاش.(راجع الأزهريّات)

[٢]/ النّوّاب : نوّاب المأمور وهو منصب إداريّ على أيّام الحكم الإنجليزيّ على السّودان

[٣]/ ينيلو: أي ينيلوه. يحالون : أي يحالون على المعاش.

[٤]/ الشّدة: إسراج الحصان أو الجمل لأنّ المفتشين في أيام الحكم البريطانيّ كانو يتنقّلون بالجمال والبغال في الأماكن النّائيّة.

[٥]/ الوهيطة : المكان المطمئن المستوي من الأرض.الأكناف : النّواحي والجوانب.

ويعجبني عرض البلاد وطول[1]

يعالج الشّاعر قضية مهمة ألا وهي قضيّة العمل ، ويقارن بين الوظيفة والأعمال الحرّة ،ويخصّ الزّراعة بالتفضيل على سائر الأعمال الأخرى واستطاع بخياله الواسع أن يوصل أفكاره لنا دون أن يعمد للأسلوب المباشر ، وذلك من خلال الحوار الذي أجراه بين القطاتين.

فدوموا على حبّ البلاد وزاولوا

صنائع أخرى إنّه لجميل

وإنّي لحرّاثٌ ويوماً مدرّسٌ

ويوماً بكرسي الخطاب أقول

ويوم حصاد العيش أخرجت حقّه

وحمدي لربّ العالمين جزيل

ورغم أنّ الشّاعر يقول بأفضلية الأعمال الحرة إلا أنّنا نجده لا ينكر الوظائف فقط يؤكّد على فكرةٍ مهمّةٍ جدا ألا وهي الإتّصال بالخالق ، ولعلّ هذا هو حجر الزّاوية الذي بنيت عليه قصائده فما من فكرة أو رأي إلا ردّه للكتاب والسنّة ونلحظ ذلك في كل الأغراض التي تناولها الشاعر ثم يقرر معنى آخر وهو ضرورة حبّ الوطن في عاطفةٍ وطنيةٍ صادقةٍ. كما أننا نلحظ أنّه ينسج العربيّ الفصيح في ثوب الدّارجي،مستخدماً العديد من الألفاظ المحليّة المستخدمة في الزّراعة التّقليديّة، وذلك دليلٌ على إرتباط الشّاعر بالبيئة، وأمّا أثر الطّرفة فهو واضحٌ في أشعاره، وما ذاك إلا تأكيدٌ على نفس الشّاعر المرحة. وقد عرف الشّاعر طبيعة النّفس البشريّة فجعل من نفسه قدوة في إخراج الزكاة عند الحصاد امتثالاً لقوله تعالى (وآتوا حقّه يوم حصاده)[2].

---

[1]/الكرّابة : الأرض التي تزرع بالرّي. الأزهريّات –مرجع سابق –ص٥١

[2]/ سورة الأنعام –آية ١٤١.

المبحث الثانيّ

الموسيقى وأثرها في تكوين الصّور الفنيّة

بين معنى الشعر وموسيقاه ارتباطٌ حيويٌّ، فالمعنى في الشعر يتطلب موسيقى الشعر حتى نفهمه الفهم الكامل ، وحتى نتأثّر به التّأثّر الواجب له ، فإذا ترجم هذا المعنى إلى نثرٍ لم يؤثّر فينا ذلك التّأثير ،لأنّه في هذه التّرجمة لا يفقد الموسيقى فحسب بل يفقد جزءاً من المعنى الكامل . من هنا ندرك أنّ الشّعر يحاول أن يحمل معاني أكثر مما يحملها النّثر، وأنّ موسيقى الشّعر هي التي تمكّنه من الوصول إلى تلك المعاني .

وقد تكون هنالك رابطة ما بين موضوع القصيدة والبحر الذي تنظم فيه ، أي بين موقف الشّاعر فى معانيه وعاطفته، وبين الإيقاع والوزن اللّذين اختارهما للتّعبير عن موقفه.يقول بروفسير عبد الله الطّيب:(ومرادي أن أحاول بقدر المستطاع تبيين أنواع الشّعر التي تناسب البحور المختلفة، وقد يقول قائلٌ: ما معنى قولك هذا؟ أتعني أنّ أغراض الشّعر المختلفة تتطلّب بحوراً بأعينها؟ وتنفر عن بحورٍ بأعينها؟ هذا عين الباطل! ألسنا نجد مراثي في الطّويل، وأخرى في البسيط، وأخرى في المنسرح، وهلم جرا؟ ألا يدلّ هذا على أنّ أيّ بحرٍ من البحور يصلح لأن ينظم فيه لأيّ غرض من الأغراض الشعريّة؟ وجوابي عن مثل هذا السّؤال: بلى، كمايبدو ويظهر، ولكن كلّا وألف كلّا، لو تأمّل النّاقد ودقّق وتعمّق فاختلاف أوزان البحور نفسه معناه أنّ أغراضاً مختلفة دعت إلى ذلك، وإلّا فقد كان أغنى بحرٌ واحدٌ ووزنٌ واحدٌ.)[1] ولعلّ الشّاعر الصّدّيق الأزهريّ قد أدرك

[1]/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – بروفسير عبد الله الطّيّب – دار جامعة الخرطوم للنّشر – ط٤ -١٩٩١ – ج١ – ص٩٣

ذلك إذ نجده قد اختار بحر الطّويل في قصيدته التي هجا فيها جماعة أنصارالسّنّة والتي يقول فيها:

ومن زعموا نصر النّبيّ بجهلهم
كفيران نوحٍ للسّفينة تقدّد
شياطين إنسٍ أو أناسٌ تشيطنوا
خليلٌ بلا علمٍ وتقوى هو العدو
وهم دخلوا في لجّة التّيه وحدهم
بغير خبيرٍ واللّبيب يقلّد
وفي مجمع البحرين قد ضلّ حوتهم
فلم يرجعوا للحوت يوماً ليهتدوا[1]

وربّما اختار الشّاعر هذا البحر لاتّساع مقاطعه حتى يبثّ ما بنفسه ، ونحسبه قد وفّق في اختياره هذا حيث تتجلّى المعاني التي قصدها من خلال هذا البحر فاستطاع أن يتهكّم ويسخر كما بدا له .يقول بروفسير عبدالله الطّيّب عن هذا البحر:(هذا ولم نعد أن ذكرنا من أصناف الشعر الصّالحة للطويل ما يجري مجرى الحماسة والنّسيب والمدح والعتاب والإعتذار. وإن كنّا قد أجملنا أوّل الأمر أنّ هذا البحر صالحٌ لكلّ ما فيه جدٌّ وعمقٌ. وممّا هو عميقٌ جدّاً وجادٌّ جدّاً ويستقيم على الطّويل كلّ الإستقامة شعر الفكاهة الخالصة، وقد يتراءى للمرء أنّ الفكاهة لاجدّ ولا عمق فيها.ولكن هذا ليس بصحيحٍ فالفكاهة أنواعٌ، منها ما يصدر عن سرعة الخاطر، ومنها ما يصدر عن التّورية والطّباق

[1]/ القنبلة الذّريّة – الصّدّيق عمر الأزهريّ – المكتبة الأهليّة - واد مدني – ط٢ -١٣٧٢ه -١٩٥٣م – ص٨

اللفظيّ ، والتّلاعب بالأفكار، ومنها ما يصدر عن التّهكّم والسّخريّة. وأعمقها جميعاً الفكاهة الخالصة، ثمّ السّخريّة الخفيّة المدخل التي يكون موضوعها أمراً عامّاً لا شخصاً بعينه فإنّ ذلك يحصر دائرتها، ويدخلها في دائرة الحقد ويبعدها عن العمق،ويقلّل من قيمتها، ويضعف من قوّتها.)[1]

كما أنّنا نلحظ أنّ الشّاعر قد لاذ ببحر الكامل لاتّساع مقاطعه فنظم فيه قصيدته التي يمدح فيها القاضي أبا شيبة قائلاً :

يا شيبة الحمد اكتشفنا ودّكم
وإلى قضاكم قد رفعنا الحالا
أرجو الحفيد الإذن طالت غيبتي
وتركت خلفي صبية أطفالا
عطفاً علينا إنّنا أضيافكم
والضيف إن أكرمته مقوالا
وأراك في الماضي ملكت شعورنا
قدمت سبتاً، فالأحد لك آلا
بالعاطرات من الصلات ختمتها
ترضي النّبيّ وصحبه والآلا[2]

إستفاد الشّاعر من الحركة الموجودة في بحر الكامل فصاغ قصيدته يمدح القاضيّ أبا شيبة في أسلوبٍ بسيط ، تغلب عليه روح الدّعابة والطّرفة.يقول بروفسير عبد الله الطّيب عن بحر الكامل:(بحرالكامل التّام ثلاثون مقطعاً ولكنّه لايجيئ تامّاً في الغالب، وهو أكثر بحور الشّعر جلجلةً وحركات، وفيه لونٌ

[1]/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – مرجع سابق – ص٤٩٧
[2]/ العقود بين النّهود – مرجع سابق – ص٦٠

خاص من الموسيقى يجعله . إن أريد به الجدّ . فخماً جليلاً مع عنصر ترنّمي ظاهر، ويجعله إن أريد به إلى الغزل وما بمجراه من أبواب اللّين والرّقة حلواً مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع من الأبّهة يمنعه أن يكون نزقاً أو شهوانيّاً. وهو بحرٌ كأنّما خلق للتغني المحض سواء أريد به جدّ أو هزل. ودندنة تفعيلاته من النّوع الجهير الواضح الذي يهجم على السّامع مع المعنى، والعواطف، والصّور حتى لايمكن فصله عنها بحال من الأحوال.)[1]

وعندما إحتاج الشّاعر للترنّم والتّطريب لجأ لبحر المتدارك أو الخبب لما فيه من رشاقة وخفّة تسهل معها الألحان فتكون أقرب للأذهان وذلك في قصيدته التي قالها عند زيارته لجبل مرّة والتي قال فيها :

السّرور التّام ، غايا للمرّه
بالعيون شفناك، يا جبل مرّه
شوف قدرة الحي، ترفع الأقدام
حظّك إن ساعد، تمشي لا قدام
دائماً تبسم ، عندك الأيّام
والزّمان يخدم نفسك الحرّة
ليس في الحسبان ، قبلذا يبدو
نصبح أو نمسي ، في بلاد جلدو

الطّيور عجماً ، أصبحت تشدو
والزّهور تضحك زهرة زهرة

[1] / المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – مرجع سابق – ص٣٠٢.

يصدح البلبل مرحباً يا ضيف

يا حفيد يا حاج بيك تمّ الكيف

من زمان شفناك في الخيال والطّيف

ونراك اليوم، للعيون قرّة[١]

نجد أنّ الشّاعر قد خلط الفصحى بالعامّية في نسيجٍ جميلٍ،ورغم أنّ الشّاعر قد صاغ هذه القصيدة من بحر المتدارك إلا أنّه ربّما خرج عن تفعيلاته في بعض الأحيان، وأحسب أنّ ذلك مردّه لاستخدامه للعاميّة ومافيها من كثرة السّكون، وهذا مايجعل الشّعر العامّيّ عصيّاً على الأوزان التّقليديّة في معظم أحواله. وربّما عمد الشّاعر لهذا البحر لما فيه من موسيقى عالية تحرّك من يستمع إليها ،وتدفعه دفعاً للتجاوب معها.يقول بروفسير عبد الله الطيّب عن هذا البحر:(الخبب بحرٌ دنيئٌ للغاية وكلّه جلبة وضجيج،وهو ثلاثة أنواع أولها عبارة عن وزن فاعلن مكرراً ثماني مرّات،وثانيها عبارة عن وزن فعلن مكرراً ثماني مرّات، وثالثها أن نكرر فعلن بسكون العين ثماني مرّات، ولك أن تخلط بين هذه التّفعيلات، وأن تحذف بعضها لتأتي بمجزوءات منها. ولايخفى أن هذا الوزن رتيب جدّاً، وقد أهمله الخليل، وأظنّه تعمّد ذلك وإستدركه عليه سعيد بن مسعد الأخفش. ولا يصلح لشئ فيما نرى إلا للحركة الرّاقصة الجنونيّة، وقد إستفاد منه الصّوفيّة في بعض منظوماتهم التي تنشد لتخلق نوعاً من الهستريا).[٢]

كان الشّاعر في رحلته مع الحفيد إبن عمر بغرب السّودان، وربّما خشى الشاعر أن يؤدّي طول الرّحلة للملل، فجاءت قصيدته هذه مليئة بالحركة، والصّخب، لتتناسب مع حركتهم وهم يجوبون الغرب، ولتسهم هذه الموسيقى

١/العقود بين النّهود – مرجع سابق – ص٩٣.

٢/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – مرجع سابق – ص١٠٣

الرّاقصة في كسر حاجز الرّتابة الناتج عن طول السّفر ، ونحسبه قد وفّق في ذلك.

وقد صاغ الشّاعر قصيدة بالعامّيّة جاءت أيضاً خفيفة رشيقة ، وقد ترنّم بها العديد من مادحي (المصطفى صلّى الله عليه وسلّم) و تعتبر من أشهر قصائد المديح عنده ، وهي مليئة بالمعاني الفاضلة وإرشاد النّاس لأمور دينهم وأيضاً نجده قد إختار لها بحراً رشيقاً تنساب منه الموسيقى إنسياباً حتى تسهل معه عملية التّلحين ألا وهو بحر البسيط:

النّسيم من فاس هبّ في المجلد
عطّر الأنفاس بالجلاد والنّد
قاسم الأرزاق أرجو منك المد
أرجو منك العون أرجو بسط اليد
فضلك الواسع والعباد تشهد
والقبول التّام في الأخذ والرّد
هب لى منك لسان صادقاً مقوال
الفكر ثاقب ووساع البال
إستمدّ القول من لسان ميكال
كي أوفي الكيل والوزن والعد
إنتبه يازول ، لا تكن غافل
الفرص حانت والزّمان آفل
بحضور الماء ، والتّراب باطل
البدار من خوف ، الفوات يا ود
الرّياح هبّت ، قبل ما تسكن

إنتهز حظك ربّما تركن

رشفة الفنجان تجعلك ترطن

بلسان أحوال التّجان أحمد[١]

ولعلّ الشّاعر قد وفّق في اختياره لهذا البحر الرّشيق لتسهل عملية التطريب والدندنة ، فالنّفس البشريّة – خاصة في السودان – كثيراً ما تميل للطّرب والحداء ، وهي فلسفة الصّوفية في نشر أفكارهم حيث يميلون للطّار والدّف لتكون كلماتهم أقرب للأذهان ، وهذا ما عناه الشّاعر بأن يضمّن كلماته هذه التي وردت جلّها في المعاني الفاضلة والتّمسك بشرع الله واختار لها هذا البحر لتظهر لنا معالم الصّورة الفنيّة فتتقبّلها الأذهان وتعمل بها.وقد قال بروفسير عبد الله الطّيب عن هذا البحر: (البسيط كما قدّمنا أخو الطّويل في الجلالة والرّوعة، إلا أنّ الطّويل أعدل مزاجاً منه.ويقصّر بالبسيط أنّ فيه من إستفعالات الرّجز ذات دندنة تمنع نغمه أن يكون خالص الإختفاء وراء كلام الشّاعر، وكامل النّزول منه بمنزلة الجو الموسيقي الذي يكون من الشّعر كالإطار من الصّورة. ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النّقيضين العنف أو اللّين. وتكاد صبغته على وجه الإجمال تكون إنشائيّة إذا إفترضنا في الطّويل صبغة خبريّة، وهذا مجرّد تقريبٍ وتمثيل.)[٢] ونجد قولنا على قصيدة جبل مرّة ينطبق أيضا على هذه القصيدة،فهي وإن جاءت من بحر البسيط غير أنّها تخرج كثيرا عن تفعيلات البسيط بسبب كثرة السّكون في العامّيّة السّودانيّة.

هجا الشّاعر أنصار السّنّة فاختار بحر الطّويل،ثمّ عمد للمدح فمدح القاضي أباشيبة من بحر الكامل،ولعلّ ذلك كان لإتساع مقاطع هذه البحور، و عندما

---

[١]/ العقود بين النّهود – مرجع سابق – ص٤١

[٢]/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – مرجع سابق – ص٤٥٢

إحتاج للدندنة ،والتّطريب لجأ للبحور الخفيفة حيث صاغ قصيدته التي حكى فيها رحلة جبل مرّة من بحر المتدارك،بينما صاغ قصيدة النّسيم من فاس من بحر البسيط، ولكن ليس ذلك بالقاعدة الثابتة إذ أنّنا نجده قد صاغ قصيدته في رثاء الشيخ أحمد العقّار من بحر الرّمل وهو من البحور الرّشيقة حيث قال فيها:

كلّ شيءٍ هيّنٍ فقدانه

ليت شعري غير فقد العلما

هم نجوم ومصابيح الدّجى

شهبٌ تسطّع في جو السما

محنةٌ عظمى علينا فقدهم

ومصابٌ مدلهمٌّ عظما

كلّما طال مداه لم يزل

رحه الدّامي يزيد الألما

سيّما الأستاذ نبراس الهدى

مد العقّار كان العلما

غاب عنّا فاعترتنا وحشةٌ

أدهشتنا فجرى الدمع دما

طالت الأحزان فامتّدت بنا

وهو في مقعد صدقٍ مكرما

حسن ظنّي أنّه مستأنسٌ

وهب المولى إليه النّعما

بات شيخ العلم ضيفاً مكرماً

وبه أمسى حشانا مضرما

وعلى الله احتسبنا أجرنا

إن للآجال حدّاً مبرما[١]

يقول بروفسير عبد الله الطّيّب عن بحر الرّمل:(ونغم الرّمل كأنّما أخذ من المتقارب فعولن فعولن فعولن فعولن. هكذا مطّرداً، والرّمل كلّه فافعولن فافعولن،هكذا ولا يخفى أنّ أصل هذا من ذاك،وموسيقى الرّمل خفيفة،رشيقة، منسابة، وفيه رنّة يصحبها نوعٌ من (الملنخوليا) لا أعني (بالملنخوليا) الجنون،وإنّما أعني بها هذا الضرب (وقد كان مستعملاً عند القدماء) هذا الضرب العاطفي الحزين في غير ما كآبة، ومن غير ما وجع ولا فجيعة.أزعم أنّ هذه (الملنخوليا) المتأصّلة في نغم الرّمل تجعله صالحاً جدّاً للأغراض التّرنّميّة الرّقيقة، وللتأمّل الحزين، وتجعله ينبو عن الصّلابة والجد وما إلى ذلك.)[٢]

وبسخريّته المعهودة صاغ قصيدة عامّيّة من بحر الخبب ضمّنها العديد من المعاني النّبيلة مادحاً لشيوخ الطّرق الصوفيّة معددا لكراماتهم، ذاكراً لأحوال المريدين في حلقات الذّكر:

شن لي شن لي شن ليّا

أنا غير الشّاي والشّيّة

شيّة أهل اللالوبة[٣]

والقهوة اللنصلحـوبا

عجب إن سووا المربوبة[٤]

---

[١]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص٦١

[٢]/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – مرجع سابق – ص١٥٨

[٣]/أهل اللالوبة: هم الصّوفيّة

[٤]/ المربوبة: حالة الصّوفية في حلقة الذّكر.

مسكوا الكلمة وصاحوبا[1]

أهل الرّايات والنّوبة

أمان ليهم حوبة

مشروبم دار بالكوبة

غتصوا وقلبوها الهوبا

الشّاي الأحمر قاني

في ألطف الأواني

وسلات اللّحم الضّان

والجبنة لي ضيفاني

أنا ماني صاحب شرهة

مش عاوز الشّاي أشّهى

داير الأضياف تتقهّى

وأم الأولاد تتبهى[2]

ويواصل قصيدته بذات النّسق مادحاً شيوخ الطّرق الصّوفيّة .

ناس العبيد ود ريّا

ناساً ما بسووا النّيّة

بحروف الشّين سخيّة

شيكات ، شربات والشّيّة

خلوات ود ريّا الضّاوية

[1]/ الكلمة: هي الله

[2]/ الأزهريّات – مرجع سابق – ص١١٦

ضيفانة رايحة وجايـة

يدّو للكافات عطّايا

كسرة ، وكسوة ، وكبّاية

الشيخ إدريس أبونا

أبو فركــة ميمونة

أم ماركةً مضمونة

لم تغسل بصابونـة

أدّوها النّار تتجمر

مرقت كالتّبر الأحمر

إن كبر الشّيخ هي بتكبر

توسع أطرافا وتنفر

بالنّد والطّيب معسوجة

مي فركة خيط منسوجة

المنكر ود أم كوجة

بالكترة المعووجـة

تظهرفي القصيدة الحركة الهستيريّة للمريدين في حلقة الذّكر (عجب إن سووا المربوبة) ولعلّ هذه هي الحركة التي عناها بروفسير عبد الله الطّيّب في حديثه عن هذا البحر:(. ولا يصلح لشئ فيما نرى إلا للحركة الرّاقصة الجنونيّة، وقد إستفاد منه الصّوفيّة في بعض منظوماتهم التي تنشد لتخلق نوعاً من الهستريا.) صاغ الشّاعر معظم قصائده في الرّثاء والمدح والهجاء من البحور ذات التّفاعيل الطّويلة ، ولعلّ ذلك كان منه لاتّساع مقاطع هذه البحور واستيعابها للمعاني

التي يريد ، كما لجأ للبحور الخفيفة ذات الأوزان الرّشيقة عند الدندنة والمديح النبويّ حيث ضمّنها المعاني الإنسانيّة التي يريد لها أن ترسخ في أذهان الناس .

وليس هذا سوى تقريرٍ مجملٍ لا يقوم مقام القاعدة فربّما إستخدم الشّاعر البحور الخفيفة في الرثاء أو المدح كما فعل عند رثائه لأحمد العقّار، كما يستخدم البحور ذات التّفاعيل الطّويلة للطّرب والحداء، فالبحور تعتبر قالباً عامّاً يستطيع الشاعر أن يضفي عليها الصّبغة التي يريد بما يصبّ فيها من عباراتٍ وكلماتٍ ذات طابعٍ خاص .

الخاتمة

لقد حاولت جهدي أن أضع بين أيديكم الصّورة الكاملة للخصائص الفنيّة في شعر الصّدّيق عمر الأزهريّ من خلال المحاور المختلفة التي تعرّضت لها في هذا البحث ، وقد وجدت نفسي أشبه بمصورٍ إزدحمت أمامه آلاف المناظر الثريّة الخصبة ، والتي تغري بإلتقاطها جميعاً ، ولكن لا تملك عدسة الكامرا إلا أن تقبض على بعضها ، ويفرّ منها البعض الآخر! فالشّاعر الصّدّيق كلّما ولجت إلى عالمه يشرد منك الذّهن مسحوراً بتلك المرائي المتعددة والكثيرة ، ويحتار طرفك أيّ الأشياء تترك وأيّ الأشياء تأخذ؟ وأنا كالطّامع الشره حاولت أن أقطف كلّ زهور البستان الذي يغطي مساحة عريضة في أرض الأدب فما إستطعت إلى ذلك سبيلا ولكن حسبي ما أفدته منه .

وقفت مع الصّدّيق الأزهريّ في أسلوبه فوجدته صاحب أسلوبٍ سلسٍ ، ممتعٍ لا يدّعي التّكلف ، ولا يخلو أسلوبه من طرفةٍ رقيقةٍ تدلّ على إمتزاج ذكاء الشّاعر بموهبته ، كما لا يخلو أسلوبه من سخريّة لا تخدش حياءاً ، ولا تنتهك حرمةً. ثمّ وقفت مع الشّاعر في خياله فوجدته يتمتّع بخيالٍ واسعٍ يضفي على قصائده حلاوةً فيكون حافزاً وداعياً لفهم ما تحويه هذه القصائد لأنّه يقرن ويقارن ويفك الطّلاسم ، ويشرح كلّما إستعصى إدراكه . صحبت الشّاعر في تجاربه الشّعريّة ، والتي إنطلقت من نبع إيمانه بخالق الكون ، وهو في تجاربه الشّعريّة لا يكون بمعزلٍ عن واقع الحياة ينفعل بما حوله ، وبمن حوله فكانت عواطفه صادقةً مفعمةً بالحبّ ، قويةً في غضبتها حينما تنتهك حرمات الدّين. أمّا الموسيقى في شعره فقد كانت هنالك ثمة رابطة بين المعاني والبحر الذي ينظم

فيه، حيث كان يختار البحور ذات التّفاعيل الكثيرة في حالات الحزن، والهجاء ، والمدح حتى تتسع للمعاني التي يريد بينما كان يجنح للبحور ذات الإيقاع الخفيف عند التطريب. أمّا التّجديد والابتكار فهي من أهمّ مظاهر العبقريّة الفنيّة عند الشّاعر ، وهي دليلٌ على براعته في إدراك أعماق التّجارب التي مرّ بها ، ومن إمارات قدرته على الخلق الفنيّ المقنع للعقول،المثير للعواطف والنّفوس، وهي دليلٌ على ثقافة الشّاعر واتّساع باعه في مجال الأفكار والمعاني .

إنّ ما قدّمه الشّاعر الصّدّيق الأزهريّ من إنتاجٍ شعريّ يعتبر علامةً بارزةً في ساحة الآداب، وإسهاماً مقدّراً يشمخ به إلى القمّة السّامقة، ولا نعني بذلك الإنكار أو التّقليل من شأن الآخرين ، فذلك تعصّبٌ لا ندين به ، وضيق أفق ما نظنّه فينا.

النّتائج

أولا:تناول الصّدّيق عمر الأزهريّ العديد من الأغراض الشعريّة كغيره من الشّعراء ،إلاأنّه إحتفظ لنفسه بمميزات خاصّة إكتسبها بفضل ثقافته الواسعة،وتربيته الدينية حتى بدا ذلك جليّاً فى شعره ،ويبدو ذلك فى موقفه من آيات القرآن الكريم ،والأحاديث النبويّة على مستوى الموضوعات التى عالجها ،ذلك أنّه يكشف عن قدرة الشّاعر على تطويع الشّعر لتلقي معاني الآيات والأحاديث كما يريد هو ذلك تصويراً أوتقريراً.

ثانياً: لم يخرج الشّاعر في جلّ قصائده على روح القصيدة العربيّة،وألزم نفسه نهجها التقليديّ ،فلم يخرج عن عمود الشّعر ،ولا القافية إلاّ في بعض قصائد المديح النبويّ .

ثالثاً:ظلّ الشّاعر الصّدّيق الأزهريّ يمازج بين اللّغه العربيّة الفصحي وبين العامّيّة في بعض شعره ،شأنه في ذلك شأن الأعلاميّ الذي يخاطب النّاس بحسب ثقافتهم ومقدرتهم على الإستيعاب فلمّا علم أنّ المذياع مرسلةٌ إعلاميّةٌ تخاطب عوام النّاس ،صاغ قصيدته نشرة الأخباربهذا الفهم الإعلاميّ العميق كما نجد نماذج أخرى لقصائد بالعاميّة كان الغرض منها مخاطبة النّاس بما إعتادوا عليه .

رابعاً: تظهر روح الشّاعر المرحة واضحةً جليّةً فى معظم الأغراض التي تناولها وكان من الممكن أن نفرد لشعر الفكاهة عنده مبحثاً منفصلاً لكننا رأينا أن نشير لها إشارات فى مواضعها لعدة أسباب أهمّها:

أ/إنّه لم يتناول الفكاهة كغرضٍ منفصلٍ إنّما تظهر روحه المرحة أثناء معالجته للأغراض المختلفة .

ب/ الإشارة إلى الفكاهة في موضعها يبرز قيمتها ،ويؤكّد على روح الشّاعر المرحة ومقدرته على الإبتسامة فى كل الظّروف.

ج/للشّاعرقصائد أثبتها عبد الحميد محمد أحمد فى كتابه الفكاهة فى الشّعر السودانيّ فلم نحب أن يأتي تناولنا لها بذات الزّاوية التي تناولها الكاتب حتى لا يأتي العمل مكررا

التّوصيات

أولاً: تتّسم العامّيّة السّودانيّة بكثرة السّكون ممّا يجعل القصائد العامّيّة عصيّةً بعض الشئ على الأوزان المعروفة، حيث تخرج عن التفعيلة الأصليّة في البحر المعني في كثيرٍ من الأحيان ،وذلك لكثرة الوقف فى الشّعر العامّيّ ، ولا أعلم أنّ أحداً أستطاع وزن الشّعر العامّيّ على شرط الخليل واستطاع ضبطه ضبطاً عروضياً تامّاً رغم كثرة هذا النّوع من الشّعر فى السّودان لذلك نوصي بدراسة هذا الأمر والعمل على إيجاد أوزان خاصّة بالشّعر العامّيّ لأهمية هذا النوع وكثرة تداوله بين النّاس.

ثانياً: لقد أسهمت الدولة مؤخراً إبّان الإحتفالات بمناسبة الخرطوم عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٥م في طباعة العديد من الدّواوين ومن ضمنها ديوان الأزهريّات للشّاعر الصّدّيق عمر الأزهريّ – موضوع الرّسالة– غير أنّنا نلحظ المعاناة التى يعانيها هؤلاء الشّعراء ومن يتبنون إنتاجهم الشّعريّ عند الطّباعة لذلك نوصي بتوفير سبل الطّباعة برسومٍ رمزيّةٍ حتى تكون ميسورةً لكلّ مبدعٍ وألاّ تكون المساهمة مرتبطة بالمناسبات فقط.

Findings

First: Like other poets, El Siddiq has adopted several purposes but maintained his own traits because of his high intellectuality and religious upbringing which can be seen in his verses. His ability can also be shown by his handling of various topics extracted from Quran verses and hadith and put his images on them.

Secondly: the poet maintains the spirit of the classical Arabic poem in relatively all his verses except some poems on the Prophet's praise.

Third: He writes in both classical and colloquial Arabic because he addresses common people who are different in their culture and understanding. His poem (news report) is written as an example of his own understanding of common people, so he addressed them as a mass media specialist.

Fourth: His funny spirits is apparent in his verses. We could not deal with this aspect in a separate chapter because of the following reasons:

1. Some poems of this kind have appeared in Abdul Hamid's, so we preferred not to handle them from the same point of view.

Recommendations

First:
Poems written in Sudanese colloquial Arabic have their own rhythm which is different from the rhythm of Arabic poetry. So, we recommend that this kind of poetry should be studies as a different entity so as we could establish special rhythm for such poems.

Second:
With the government support during the festivals of "Khartoum, the Capital of Arabic Culture 2005), some books have been published.
El-Siddiq's Azhariat has been one of them.
Publishing is one of the problems facing poets in Sudan. So se recommend that publishing should be available not during such festivals.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١/ أحمد بن محمّد بن عبد ربّه . العقد الفريد . دار الكتب العلميّة بيروت . ج٢

٢/ إيليا الحاوي . في النّقد والأدب . دار الكتب اللبناني . بيروت . ط٢ . ١٩٨٦

٣/ جمال الدّين عبد الرّحيم الأسنوي الشافعي . نهاية الرّاغب في شرح عروض ابن الحاجب . دار الجيل . بيروت . ط١ . ١٩٨٩

٤/أبو الحسن عليّ بن محمّد . تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة . دار الكتب العلميّة . بيروت . ط٢ . ١٩٨١

٥/أبو الحسين مسلم بن الحجّاج . صحيح مسلم . رئاسة إدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد. المملكة العربيّة السّعوديّة . م

٦/السّيد أحمد الهاشمي . جواهر الأدب . دار الجيل . بيروت

٧/ شوقي خليل . الهجرة حدثٌ غير مجرى التاريخ . دار الفكر . دمشق . ط٣ . ١٩٨٥

٨/ د. شوقي ضيف ـ الفن وذاهبه ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط٦

٩/ د. شوقي ضيف ـ في النقد الأدبي ـ دار المعارف ـ ط ٧

١٠/ الصّدّيق عمر الأزهريّ . الأزهريات . تحت الطبع

١١/الصّديق عمر الأزهريّ . العرائس الحسان . المكتبة الأهليّة. واد مدني

١٢/الصّديق عمر الأزهريّ . العقود بين النّهود . مطبعة الفجّالة . القاهرة

١٣/الصّديق عمر الأزهريّ . القنبلة الذريّة . المكتبة الأهلية . واد مدني . ط٢

١٤/ عبد القاهر الجرجانيّ . أسرار البلاغة في علم البيان . دار الفكر العربيّ . بيروت

١٥/ عبد القاهر الجرجانيّ . دلائل الإعجاز. دار المنار . مصر. ط٣ . ١٣٦٦هـ

١٦/ بروفسير عبد الله الطّيّب . المرشد إلى فهم أشعار العرب . دار جامعة الخرطوم للنشر . ط٤ . ١٩٩١

١٧/ عبد الله بن مسلم بن قتيبة . الشعر والشعراء. عالم الكتب . لبنان . ط٣ . ١٩٨٤

١٨/ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . البيان والتبيين . دار صعب . بيروت . ج١

١٩/ أبو علي الحسن بن رشيق القيروانيّ . العمدة . مطبعة حجازي . القاهرة . ط١ . ١٩٣٤

٢٠/ عمر بن الحرث . الرّياض النّضرة في مناقب العشرة . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١ . .١٩٨٤

٢١/ عمر الدّسوقيّ . في الأدب الحديث . دار الفكر العربيّ . بيروت . ط٦ . ١٩٦٤

٢٢/ فاروق شوشة . أحلى ٢٠ قصيدة في الحب الإلهي . مكتبة مدبولي . القاهرة . ط١ . ١٩٨٣.

٢٣/ أبو الفرج قدامة بن جعفر . نقد الشّعر. مكتبة الخافجي . ط٢ . ١٩٦٢

٢٤/ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب . دار صابر . بيروت . ط١ . ١٩٩٠.

٢٥/ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ . صحيح البخاريّ . الطبعة الأخيرة . ج٣ . ١٩٥٣

٢٦/ محمّد عبد المنعم خفاجي . الشعر الجاهليّ . دار الكتب اللبنانيّ . بيروت.

٢٧/ محمّد بن عليّ بن محمّد الشّوكانيّ . نيل الأوطار. دار الجيل . بيروت . ١٩٧٣.
٢٨/ محمد غنيمي هلال . النقد الأدبيّ الحديث . نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . الفجالة . القاهرة.
٢٩/ محمود مصطفى . الأدب العربيّ وتاريخه . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر . ط٣ . . ١٩٣٧.
٣٠/ د. مصطفى عوض الكريم . فن التوشيح . دار العلم للملايين . بيروت . ١٩٦٠.
٣١/ أبو منصور عبد الملك الثعالبيّ . يتيمة الدّهر. دار الكتب العلميّة . بيروت . ط١ . ١٤٠٣هـ
٣٢/ منصور علي ناصف . التاج الجامع للأصول . دار الفكر . بيروت . ج٤ . ١٩٨١.
٣٣/ د. نديم حسن دعكور . اللّغة العربيّة . مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع . بيروت لبنان.
٣٤/ د.هاشم صالح منّاع . من روائع الأدب العربيّ . دار ومكتبة الهلال . بيروت . ط١ . . ١٩٩٠.
٣٥/ ابن هشام . السّيرة النّبويّة . دار إحياء التراث العربيّ . بيروت . لبنان . ط١ . ١٩٩٤

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	
الإهداء	
شكراً جميلاً	
المقدمة	١
التّمهيد	٥
الفصل الأوّل: مفهوم الخصائص الفنيّة عند النقّاد	٨
المبحث الأوّل: الشّعر وماهيّته	٩
المطلب الأوّل: تعريف الشّعر	٩
المطلب الثاني: الأغراض الشّعريّة	١١
المطلب الثالث: مراحل تطوّر الشّعر	١٣
المبحث الثاني: الخصائص الفنيّة في الشّعر العربيّ	١٦
المطلب الأوّل: الموسيقى	١٦
المطلب الثاني: الأسلوب	١٩
المطلب الثالث: الخيال	٢٢
المطلب الرّابع: العاطفة	٢٧
الفصل الثاني: أهمّ الأغراض التي طرقها الشّاعر	٣٠
المبحث الأوّل: المدح	٣١
المطلب الأول : مدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم)	٣٢
المطلب الثاني : مدح الخلفاء الراشدين	٤١
أولاً : أبوبكر الصديق (رضي الله عنه)	٤١
ثانياً : عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)	٤٥
ثالثاً : عثمان بن عفان (رضي الله عنه)	٤٩
رابعاً : علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)	٥٣
المطلب الثالث : مدح رجال الطرق الصوفية	٥٥

المطلب الرابع : مديح المناسبات ٦٣
المبحث الثّاني : الإخوانيات ٦٨
المبحث الثالث : الرّثاء ٧٨
المبحث الرابع : الغزل ٨٣
المبحث الخامس : الهجاء ٨٨

الفصل الثّالث: أهمّ القضايا والأفكار التي ركّز عليها الشّاعر ٩٤
المبحث الأوّل: القضايا الفقهيّة ٩٥
المطلب الأوّل:التّوسل بالأنبياء والصّالحين ٩٦
المطلب الثّاني: رفع الأكفّ بالدّعاء عند العزاء ١٠٠
المطلب الثّالث: الذّكر بالطّبول ١٠٣
المطلب الرّابع: ثبوت رؤيّة هلال رمضان ١٠٥
المبحث الثّاني:القضايا الإجتماعيّة ١١٠
المطلب الأوّل:التّطير والتّشاؤم ١١٠
المطلب الثّاني: تشبّه الرّجال بالنّساء ١١٦
المطلب الثّالث: تخفيف المهور ١٢٠

الفصل الرّابع: التّجارب والعواطف في شعر الصّدّيق الأزهريّ ١٢٣
المبحث الأوّل: التّجارب الخاصّة ١٢٤
المبحث الثّاني: التّجارب العامّة ١٤٠

الفصل الخامس: الخيال والموسيقى وأثرهما في تجليّة المعاني ١٥٠
المبحث الأوّل: الخيال وأثره في تكوين الصّور الفنيّة ١٥١
المبحث الثّاني: الموسيقى وأثرها في تكوين الصّور الفنيّة ١٦٠
الخاتمة: ١٧٣

النّتائج باللغة العربية ١٧٣
التّوصيات باللغة العربية ١٧٥
النتائج باللغة الإنجليزية 176
التوصيات باللغة الإنجليزية 176
المصادر و المراجع 177
فهرست الموضوعات 181